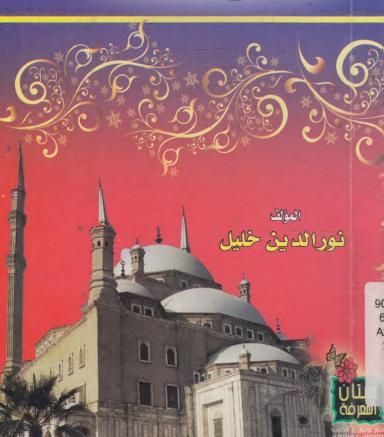
المماليك المفترى عليهم الأشرف خييل فاتح عكا



الماليك المفترى عليهم الأشرف خليل ₍فاتح عكا₎

المماليك المفترى عليهم



الأشرف خليل فاتح عـكا

تأليف الأستاذ/ نور الدين خليل 2010

> مكتبة بستان المعرفة لطباعة ونشر وتوزيع الكتب هـ: ۲۲۷&۰۶۰/۲۲۱۱۶۹هـ (۱۵/

العنوان

الناشر

اسم المؤلف نور الدين خليل

رقم الإيداع ١٣٣٠٤ /٢٠٠٩ ... الترقم الدولي 1-5245-977

بستاخ المعرفة

كُفُّ الدُوارُ _ الحدائق _ ٨٠ شُ الحدائق أمام أبراج الحلواتي ع: ١٢١١٤/٥٤ ، الإسكندرية ١٢٧٧ ١١١٠٠ . Email: boston _ elma3rafa @ yahoo.com

الماليك المنترى عليهم اشرف خليل رفاتح عكار

جميع حقوق الطبع محفوظة

ولا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو إنتاج هذا الصنف أو أي جرء منه بأية

صورة من الصور بدون تصريح كتابي مسبق.



مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صدَقَفُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَنْ قَصَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً

> (سورة الأحزاب) (۳۳: ۳۳)

تصديس

الأشرف خليل:

هو الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون .

تاسع سلطان مملوكي في الترتيب التاريخي:

2170. ١٠- شجرة الدر (سلطانة) -140Y -140. ٠٠ - أيبك (المعز عزالدين) YOY 1- POTIS ٠٠ على بن أيبك (المنصور نور الدين) POY1 - 1771A ٤ ٠ - قطر (المظفر سيف الدين) -171- YYY12 ٥٠ - بيبرس الأول البندقداري (الظاهرركن الدين) AYYI- PYYIL ٠٦ - بركة خان (السعيد بن الظاهر بيبرس) PYYES ٧٠ - سلامش (العادل بدر الدين بن الظاهر بييرس) -179. -1779 ٨٠- قلاوون (المنصور سيف الدين) -1798-179. ٩ - - خليل (الأشرف صلاح الدين بن قلاوون) م خامس المماليك العظام بعد: شجرة الدر وقطز وبيبرس وقلاوون .

- 九 بطل مغوار ، وشجـاع مقـدام .
 - 🌪 حقق ما عجز عنه ثمانية سلاطين قبله .
- 🍨 أنجز ما لم يقدر عليه صلاح الدين الأيوبي ونابليون بونابرت .
- 🚓 يراه مؤرخو الغرب المحدثين أحد أبطال مصر العظام . قيل فيه :
- ♣ فتبه على الأملاك فخرا بما نلت فأنت الملك الأشرف

مقدمــة

يحدثنا المؤرخ الشهير شيلدون واتس Sheldon Watts ، في إشارته إلى ضريح الأشرف خليل الأثرى قائلا:

لا شك في أن هذا البطل العظيم يستحق أكثر بكثير من هذا . فبينما تعلن حكومة مصر تخصيص مبالغ ضخمة لترميم الاثار والحفاظ عليها في الأماكن التاريخية بالقاهرة، من المأمول أن تتمكن من توفير الأموال والرعاية لإنقاذ هذا الأثر الهام للأجيال القادمة .

وأضاف (شيلاون واتس) أن المضريح الذي يبعد مساقة منية عالية مبنية على قاعدة مربعة . أما المدخل قانه بسبب ارتفاع مستويات الشوارع المجاورة على مدي ٧٠٠ سنة مضت ، نجده تحت مستوى الشارع بخمسة أمتار . ولذا فإن أرضية المضريح تغرق في أشهر الشتاء في مياه عفنة آتية من مصنع المثلجات المتاخم للمقبرة من الشامل ، ومن المبني السكنى المتاخم المقبرة من الجنوب . وفي الإمكان مشاهدة شرخ ضخم من داخل القبة العظيمة من جهة الشمال الشرقي . وهناك في ركن الجدار الخارجي من جهة الجنوب الشرقي أحجار بارزة تسندها عصا كبيرة من عصى المكانس .

فمن هو الأشرف خليل ؟ وماذا حرر؟ ومتى ولماذا تستحق هذه المقبرة إيلاء الإنتباه والرعاية ؟ كانت سنة ٢٩١ م ذات أهمية مركزية في تاريخ مصر والشرق ، إذ أن الأشرف خليل ، مملوكنا السلطان ، أتم ما بدأه صلاح الدين عمليا ، ونظف الشرق كله من الغزاة الكفرة . وبالإستيلاء على مدينة عكا السلطية في شهر مايو من ذلك العام بدأ الأشرف خليل عصرا طويلا بقيت فيه مصر والشرق خالية من الحكم الأوروبي . ودام هذه العصر خمسائة وواحد وتسعين سنة إلى أن حلت سنة ١٨٨٢م، انتهى فيها هذا العصر نهاية مخزية بالغزو البريطاني لمصر

كان الأشرف خليل ما يزال شابا حينما اصطلع بالعمل الرائع الذي عبا فيه القوات العسكرية في مصر وسورية للهجوم على عكا التي كانت سجينة لدي المسيحيين منذ عام ١٠٤ م، وكانت الميناء الرئيسي الذي يجري فيه بيع ومبادلة المنتجات التي لا غنى عنها لإستمرار حياة الغرب وإمداد الشرق بالسلاح.

وظن ملوك أوروبا وأمراؤها أن المماليك لا يرغبون في قطع تلك التجارة الرابحة . ولم يفهموا في جهلهم أن السلطان الأشرف خليل كان يضع نصب عينيه أن إنهاء الإحتلال المسيحي لفلمطين وسوريا له أهمية أعظم بكثير من الحفاظ على التجارة . وقد أثبت الحصار الرائع لعكا وانتزاعها أن المماليك أنفسهم كانوا ينتجون أكثر أنواع الأسلحة روعة واتقانا. ذلك أن قوات المسلطان وهي في داخل عكا يرعت للغاية في تدمير الجدران السميكة المحيطة بالبرج الإنجليزي والبرج الملعون ، وبيذا تمكن جنود

السلطان وأمراؤهم بعماماتهم البيضاء من الإنتشار فى شوارع المدينة بسهولة.

فلماذا إذن يعرف المدرسون وتلاميذ المدارس كل شئ عن الملك الصليبي الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد الذي عاصر خصمه صلاح الدين ، لكنهم لا يكادون يتذكرون اسم الأشرف خليل الذي حرر البلاد ؟

ويستطرد (واتس) قائلا إنه بتحرير عكا وغزوها دأب الكتاب والإعلاميون في إيطاليا وفرنسا وانجلترا على محاولة تفسير أسباب هزيمة أوروبا المأساوية. واستمرما بنوه من جدل بشكل جزءا من الثقافة الأوروبية العامة لما يزيد على ٧٠٧ سنة تلت. وبعد الغزو البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م أبخلت تلك الأفكار في مناهج المدارس الإبتدانية المصرية. ودائما ما يعرف عن الغزاة أنهم يعيدون كتابة تاريخ هؤلاء المهزومين.

وربما سار الأمر على ذلك النحو، ولكن ألم يحن الوقت لعلاج هذه الأوضاع ؟ إذ بنهاية الحكم البريطاني لمصرمنذ نحو نصف قرن ، كان ينبغى منح الأشرف خليل شرف الإعتراف بإسهامه العظيم الراسخ فى تاريخ مصر. وأرى أن تكون الخطوة الأولى إيبلاء الإهتمام الواجب لمقبرته وبأسرع وقت ممكن .

أما المضريح نفسه ، وبغض النظور عن أهميته التاريخية، فإنه من الناحية الفنيسة والجمالية لا يستحق الإهتمام . فهو عبارة عن بوابسة تؤدي إلى داخل هيكل

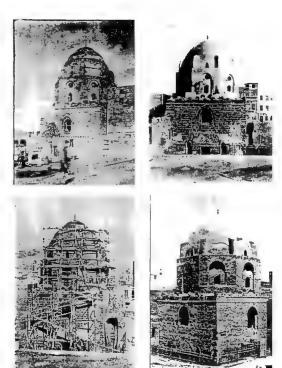
الضريح. وعلى الجدران توجد القاعدة الدائرية الكبيرة القبة ، تبرز منها ثمانية نوافذ بعوارض محدور بسة من القب ، ويظهر تحتها باقة رائعة من الزخارف المجصصة لأيات من القرآن الكريم. وفي أسقل ، في قاعدة القبة الدائرية نفسها ، تظهر النوافذ الثمانية ، ولا يزال بعضها يعمل الواح الزجاج الأخضر والأزرق والأصفر، التي كانت تنشر الضوء على التابوت الحجرى .

واختتم المؤرخ شيلدون واتس قائلا: "إن الأشرف خليل يستحق الإعتراف به أحد أبطال مصر العظام في العصور الوسيطة "، وأضاف: "إنني أتطلع لأن أري عمليات فورية لشفط المياه من المقبرة كمقدمة لإنقاذها."

(Al-Ahram Weekly On-line) (24 - 30 September 1998 Issue No.396)

(الأهرام الأسبوعية على الشبكة الدولية) (٢٤ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٨م العدد ٣٩٦ ترجمة المؤلف)

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)



ضريح الأشرف خليل بالقاهرة

_ المماليك. ظاهرة فريدة

نعم، ظاهرة فريدة لم تحدث قبلهم ولم تتكرر بعد ذهابهم . أطفال وصبية يفقدون عائلاتهم في الحروب ، أو يخطفهم النفاسون من بيوتهم ، ثم يُبْعدون عن موطنهم شمال البحر الأسود وتحديدا في البلاد التي كانت تعرف ببلاد الشركس ، وببيعهم النخاسون في أسواق النخاسة والعبيد في الشرق .

ونعام أن تجارة العبيد كانت منتشرة قبل المماليك وبعدهم ، وحتى زمن ليس ببعيد فى القرن التاسع عشر وما قبلــه فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يجد العبيد أول خطوة خطاها أبراهام لينكولن على طريق تحريرهم .

ونعلم أن العبيد كانوا يساقون قسرا من أفريقيا مكيلين بالأصفاد الحديدية ، ثم تحملهم السفن كالماشية وتعبر بهم المحيط الأطلنطي ليعرضوا في أسواق الرقيق وتقتضي حياتهم في عبودية لم يجربها حتى الحيوان ، هم وأولادهم وعائلاتهم . وكانوا جميعا يعملون الأعمال الوضيعة التي يأنف الرجل الأبيض القيام بها من تنظيف وعمل في الحقول وما إلى ذلك .

لم يكن ذلك هو المتبع مع المماليك ، وإنما كان المملوك يوضع على طريق الجندية والتدرب على الحرب والقتال ، ويترقى إلى أن يصبح أميرا تحت إمرته مئات الفرسان والوفهم ، بل كان المملوك يشغل منصب الوزارة ويقود الجيش أو الجيوش ، وفي النهاية يصبح المملوك ملكا سلطانها يهابه الملوك والعواهل .

نعم ، المماليك ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية حدثت مرة واحدة فقط.

_ الإفتراء على المماليك

والمماليك مفترى عليهم حقا وصدقا. وما هذه السلسة (المماليك المفترى عليهم) إلا محاولة لإحقاق الحق ، ورفع الظلم والإفتراء عن هؤلاء المماليك الذين بهم يتألق تاريخ مصر والشرق بأسطع لألاء ، ويتشرف التاريخ العربي والإسلامي بأسمائهم وأفعالهم وتصحياتهم ، برغم معاول الهدم التي تنفث أحقادها عليهم ، وجهالات الجهلاء المنقادين كالسائمة وراء مقولات خاويات فار غات إلا من أساود سوداء حاقدة . فمن قائل إنهم كانوا يضطهدون الشعب المصري ، إلى عابث يدعى أنهم اتخذوا لأنفسهم ملابس خاصة بهم تميزهم عن باقى ابناء البلد ، وما إلى ذلك من خرعبلات ومقولات .

ومن الأسف الشديد أن أبناء مصر من غير المسلمين لا يصيبهم كلل من الطعن في المماليك في كل مناسبة وبغير مناسبة ، فيقول بعض الأقباط:

"أما بالنسبة للاقباط فقد وقعوا تحت أضطهاد في عصر حكم الملك برقه خان وتألموا من قسوة المماليك والمعاملة غير العادلة . أما الملك قلاوون وإن كان عادلاً في الضرائب على رعيته ولكنه أتبع مبدأ المساواة بين الأقباط والمسلمين. أما من ناحية الإضطهادات فقد أسرع في استنناف التقييدات وكان من المعادة أن يقع هؤلاء القوم البؤساء (الأقباط) تحت نير الإضطهاد من المسلمين كلما غاب السلطان في الحروب مع أنه لم يكن أحد يستطيع من الحكام أن يصرف شئون مع أنه لم يكن أحد يستطيع من الحكام أن يصرف شئون البلاد الإدارية إلا الموظفين الدائمين من الأقباط والمسبحيين

إذ ثم يكن لأحد من المماليك أو العرب الكفاءة النامة والقدرة على القيام بهذه المهمة في إداره البلاد .

التصرف الوحشي لقلاوون:

واستقر لقلارون الأمر وهدأت الحروب الخارجية وتفرغ لشئون مصر الداخلية (يعتقد انه فعل هذا فيما بين وصابته كملك وأستيلائه للحكم) ولكنه تصرف تصرف سبئ جعل الشبعب يسخط عليه مسلمين وأقباط - فلما حدث اضطهاد الشبعب يسخط عليه مسلمين وأقباط - فلما حدث اضطهاد ذلك الحاكم المملوك أن كما هي العادة من أمثاله أن يعطى درسا مؤلما لمرعيته إزاء السخط الشعبي الذي حدث فاطلق سراح جيشة من المماليك في مدينة القاهرة فعاثوا فيها فسادا وقبها وقتلا ، ولم يحقق في الأمر ليعرف المننب من البرئ في هذا الشعب الممكين ، فاصبحت الشوارع أنهار تجرى في هذا الشعب الممكين ، فاصبحت الشوارع أنهار تجرى فيها الدماء وتكدست فيها جثث الرجال والأطفال والنساء لمدة ثلاث شهور كاملة ... "

(أنسكلوبيديا – Encyclopedia) (موسوعة تاريخ أقباط بصر - history coptic) (بقلم عزت اندراوس)

هذا نوع جديد من الإفتراء ، وللقارئ أن يطلع على كتابنا المماليك المفترى عليهم (٤) : المنصور قلاوون ـ بناء الحضارة ، ليرى أن قلاوون العظيم أبعد ما يكون عن ا لإضطهاد ، بشهادة أعداء الإسلام قبل المسلمين . وليس هنا مجال الرد على كل هذا الكلام الأجوف ، فقط نشير إلى الكتاب الأول من سلسة المماليك المفتري عليهم (شجرة الدر قاهرة الملوك ومنقذة مصر) فنجد أن أحد أقباط مصر خان أبناء

بلده مسلمين وأقباط على السواء وباعهم للملك لويس الناسع وقبض الثمن بعد أر أعداء وطنه إلى مخاضة في النيل عبرها الجيش الفرنس:

اخيانة قبطى مصرى

وفى بداية شهر فبراير جاء أحد أقباط مصر من سلمون إلى معسكر الصليبيين وعرض أن يدلهم على مخاصة لعبور البحر الصغير لقاء مبلغ خصمانة بيزينت . وفى فجر الثامن من فبراير عبر الصليبيون المخاصة ومعهم الملك لويس وقاد أخوه روبرت كونت أرتوا المقدمة مع فرسان المعبد والكتيبة الإنجليزية ، وكانت لديه أوامر صارمة بعدم مهاجمة المصريين إلى أن يأذن الملك. ونجع العبور الصعب وإن كان بطيئا....."

تاريخ الحمالات الصليبية) . (للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن رانسيمان ــ ترجمة ا لمؤلف) A History of the Crusade by: Sir Steven Runciman

هذا فضلا عن أن نفس المؤرخ يقول عن السلطان قلاوون ما يلى :

"لقد كان سلطانا عظيما ، يضاهي بيبرس في غلظت وقسوت ، وإنما يتميّز عنه بلحساس رفيع بالإخلاص والغفرف وعلي غير شاكلة بيبرس ، ترك قلاوون إبنشا جديرا بأن يخلف ، ألا وهو الأشرف خليل الذي سوف يكون له شأت " هذه هى حقيقة قلاوون كما يعلنها غير المسلم : إحساس رفيع بالإخلاص والشرف ، فكيف يقدم ذو الإخلاص والشرف على اضطهاد أبناء شعيــه ؟

لا شك فى أن عزت أندراوس، عبقري موسوعة أقباط مصر، لم يدرج هذه الخيانة فى موسوعته التى لا تحمل مرجعا واحدا محايدا ، يستند إليه فى افتراءاته . وليس هذا نوع جديد من الإفتراء فحسب ، وإنما هو كذلك جحود وتنكر للمعروف وطمس للحقانق . ولا ندري ما هو الهدف من ذلك الإدعاء وتلك الأفكار الحاقدة على المماليك، وماذا يريد المتحدثون باسم الأقباط من شاكلة عزت أندراوس ؟ خاصة وأن الأقباط يعيشون فى هذا البلد منذ أن أنقذهم الفتح الإسلامى من اضطهاد الرومان الحقيقى ، ومن له دراية بالتاريخ يعلم جيدا اضطهاد الإمبراطور الرومانى ديوكليتيانوس للمسيحيين فى كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، وكانت مصر طبعا جزء من الإمبراطوربة قبل الفتح الإسلامي . ونستأذن القارئ فى اقتباس قصير لما نقول:

Diocletian, Valerius Diocletianus (245-316), Roman emperor (285-305), who restored efficient government to the empire after the anarchy of the 3rd cent. His reorganization of the fiscal, administrative, and military machinery of the empire laid the foundation for the Byzantine empire in the East. His reign is also knotted for the last great persecution of the Christian s.

دیوکلیتیان فالیریوس دیوکلتیانوس: (۲٤٥-۲۱٦م)،

امبراطور رومانى ٢٨٥-٣٥٥م)، أعاد الحكم الكفء للإمبراطورية الرومانية في أعقاب فوضى القرن الثالث. وأعاد تنظيم الآليات المالية والإدارية والعسكرية للإمبراطورية الأمر الذي أرسى قواعد قيام الإمبراطورية البيزنطية في الشرق. كما يشتهر حكمه كذلك بآخر اضطهاد كبير للمسيحيين.

Diocletianic Era, i.e. from Diocletian's accession (285); also known as the *Era of the Martyrs*. see prec.

العصر الديوكليتياتي، أي من سنة تولى ديوكليتيان عرش الإمبراطورية الرومانية (٢٨٥م)؛ ويعرف أيضا باسم عصر الشهداء Era of the Martyrs (أنظر المادة السابقة) يشتهر حكمه كذلك بأخر اضطهاد كبير للمسيحيين.

English / Arabic Dictionary of the Three Heavenly Religions Judaism-Christianity-Islam P-172

By: Noureldin Khalil Revised by: Mahmoud Adam

ومهما يكن من أمر ، فإننا لا ننساق وراء جدل عقيم ، وإنما كان لا بد من رد على ما يقال ، وأكتفى بالإقتباسين المذكورين أعلاه ، وهما لإثنين من عقلاء المسيحيين ، من المنصفين لأنهما يتوخيان الحق والعلم والحفاظ على التراث الإنساني في تجرد من الهوى ومن التعصيب. ذلك أن شيلدون واتس Sheldon Watts الذي يرد فى مستهل هذه المقدمة والسير ستيفن رانسيمان Sir Steven Runciman مررخان مسيحيان عصريان ، من كبار العلماء ، لا يفتريان على مسلم أو مسيحيى ، وهناك الكثير ممن هم على شاكلتهما ، وليس هنا مجال الإسهاب في الحديث عن حيادهما .

وتبقى كلمة أخيرة تتعلق بالسموم التى ساقها عزت أندراوس عبقرى الموسوعة القبطية حول وحشية قلاوون فنسوق هذا الإقتباس :

> ولقد وصف ابن بطوطة البيماريستان المنصوري وقال إنه يعجز الواصف عن محاسنه ؛ إذ كان مقسما إلى أربعة أقسام: الحميات والرمد والجراحة والنساء وخصص لكل مريض فرش كامل، وعين له الأطباء والصيادلة والخدم، كما زود بمطبخ كبير.

> وكان المريض إذا ما برئ وخرج مُنح منحة وكسوة، وقدرت الحالات التي يعالجها المستشفى في اليوم الواحد بعدة آلاف، والحقت به مدرسة للطب يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء الدروس.

والوثيقة التاريخية التي ترجع إلى عهد المماليك بمصر تبين بجلاء تلك النصائح المشرقة لأوقاف المعلمين لإقامة المشافي وعلاج المرضى، فنقول الوثيقة: أنشئ هذا المارستان (مستشفى قلاوون) لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الاغنياء الموسرين والفقراء المعوزين بدمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة من المتيمين بها والوافدين عليها على اختلاف أجناسهم وتباين أمراضهم، يدخلون عليها على اختلاف أجناسهم وتباين أمراضهم، يدخلون

جماعة وفر ادا، وشببا وشبانا ويقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم لحين برنهم وشفائهم، ويصرف ما هو معد فيه للمداوات، ويفرق على البعيد والقريب والأهل والغريب، ويصرف الناظر من ريع الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من سرر جريد أو خشب على ما يراه مصلحة — أو لحف محشوة قطفا، فيجعل لكل مريض من السرر والفرش على حسب حاله وما يقتضيه مرضه عاملاً في حق كل منهم بتقوى الله وطاعته، باذلاً جهده وغاية نصحه، فهم رعته وكل راع مسؤول عن رعيته.

ويباشر المطبخ بهذا البيمارستان ما يُطهى للمرضى من دجاج وفراريج ولحم، ويجعل لكل مريض ما طبخ له في زبدية خاصة به من غير مشاركة لمريض آخر ويغطيها ويوصلها لكل مريص إلى أن يتكامل اطعامهم ويستوفى كل منهم غذاءه وعشاءه وما وصف له بكرة وعشياً.

(المماليك المفترى عليهم (٤) المنصور قلاوون) (بناء العضارة ص ٢٠٢ و ٢٠٣ للؤلف)

وبعد ــ كان الأحرى بالمواطن المصرى القبطى ، إذا خلصت النوايا وحسنت المقاصد ، أن يتوخى الحياد والموضوعية كما يتضح من زميليه المسيحيين المؤرخين المذكورين ، بل القبطى المصرى أحرى بالحياد لأنه نشأ على أرض مصر وارتوي من نيلها ، ونعم بمعايشة أبناء وطنه من المسلمين طوال أربعة عشر قرنا ، لا أن ينشر كلاما لا أساس له من صحة أو سند ، مما يشعل نار الفتنة ولا يخدم أية

قضية ، سوى الإنسياق وراء أوهام ليست قطعا في صالح الأقباط ، فالغلاة منهم يظنون أنهم في حماية أمريكا ، ولأمريكا هذه حديث آخرينصب على العبودية كما يلسى.

_ مرة أخري .. مماليك أم عبيد ؟

أشرنا فيما مضى إلى أن المؤرخين الغربيين أطلقوا على المماليك لفظ عبيد slaves ، لأن المماليك كانوا يباعون فى أسواق النخاسة من ناحية ، ومن الناحية الأخرى لم يجدوا مقابلا للكلمة العربية (مملوك) سوى ما يقابلها فى لغاتهم owned وربما كان لهم العذر فى اختيار اللفظ الأول slaves .

ولا يعرف التاريخ الإنساني على اتساعه ظاهرة مماثلة لظاهرة المماليك . ذلك أن العبيد كانوا يمثلون عنصرا أساسيا في فجر الحياة الإنسانية ، وقبل أن يتفتح العقل الإنساني ويرتقى إلى ما وصل اليه الآن من مستوى محدود من النضج فيما يتعلق بهذه الظاهرة . والمجتمعات في تطور دائم ، والأمم في تقدم قلما يتوقف ، والإنسان يخطو خطوات واسعة نحو الأفضل والأجدي ولنأخذ مثلا عبيد أمريكا :

_زنوج أمريكـــا

كان تجار العبيد يسوقون الأفارقة كالحيوانات في السفن المبحرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية :

- 🚓 ١٥٠٢م ، و هو العام الذي يعرف بأن تجارة العبيد حد ثت فيه لأول مرة .
- ♣ ١٨٦٣م، أصدر أبراهام لينكوان بيان تحرير العبيد الذي منح العبيد الحرية.

اكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن حضت والأمريكي الأبيض يمارس التفرقة العنصرية ببراعة تفوق الوحوش، ولا يزار، في أمريكا ولايات تمارس العنصرية برغم ما حققه الأمريكي نفسه من انتصار المي حمله إلى الفضاء الخارجي والكواكب، وغاص به في أعماق البحار.

ولأن العبد خالق أسود اللون بسبب حرارة الشمس الشديدة في أفريقيا ، فإنه يباع ويشترى في هذه الدنيا الجديدة التي جمعت حثالة البشرية الأوروبية . ، لا يخفى أن أوروبا كانت تطرد المجرمين والعاطلين والصعاليك والغوغاء إلى الدنيا الجديدة في عصر اطلقوا عليه عصر النهضة من عصور الظلام Dark Ages ، النهضة من عصور الظلام Dark Ages بطبيعة الحال .

وقد أطلق الأمريكيون على هؤلاء العبيد لفظ نيجر negger ، لفظ دامي يعنى (الأسود) وهو بالغ الإساءة ، يحمل كل معانى الإمتعاض والغثيان من أي إنسان أسود ، ثم استخدم الأمريكي لفظ negroes على الأفارقة السود وهو يقابل لفظ (الزنوج) وبعد أبراهام لينكولن كان يطلق عليهم مجرد Blacks أي السود . والإضطهاد قائم ومستمر بطبيعة الحال ، حتى القرن العشرين . وامتد الإضطهاد إلى جماعات مريضة في عقولها أشهرها جماعة (كوكلوكس كلان Kukluks Klan) ولها تارخ أسود في قتل الزنوج وسحقهم حتى هذه اللحظة .

وأخيرا ، يبذل المجتمع الأمريكي محاولات التجمّل والتزين ، فأطلق على عبيد الأمس (الأمريكيون الأفارقة African Americans) وبعضهم يشغل مناصب رفيعة مثل وزراء خارجية ـ واضطهاد السود لا يزال يُمارس في واقع الأمر . ولكنه تطور على أية حال .

_ المماليك... تسمية ناقصة

أغلب الظن أن لغظ المماليك (ومعناها المملوكين) جاء بعد تردد وتخبط وحيرة عندما بدأت أعمال النخاسة وخطف الأطفال . إلم يستطع النخاسون وتجار الرقيق أن يطلقوا على بضاعتهم لفظ العبيد ، أن العبيد كانوا في ذلك الوقت سود اللون يجمعونهم من أفريقيا. كما لم يستطع النخاسون أن يطلقوا على اللمماليك لفظ الزنج أو الزنوج لأن الزنوج كما يعرفهم لسان العرب _ جيل من السودان .

وربما سارت الأمور في بداية الأمر على عواهنها ، فكانت التسمية : الممسوكين ، أو المنقولين ، أو ما إلى ذلك مما يشير الى هؤلاء المأسورين الذاهبين إلى أسواق بيع وشراء الإنسان . ولا نعرف متى وأين أطلق عليهم اسم " المماليك " ، غير أننا نرجح أن هذه التسمية جاءت بعد بيع هؤلاء الأطفال ، فيقال عن الواحد منهم هذا مملوك الأمير فلان ، وذلك مملوك لغيره . وعلى سبيل المثال كان اسم قلاوون هو سيف الدين قلاوون الألفى المسالحي النجمي . ولفظ الألفى يشير إلى أن قلاوون بيع بألف دينار ، ولفظ الصالحي يشير الى مالك قلاوون وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب مالك قلاوون .

وعلى ذلك لا بدأن يكون هناك "مالك" يمتلك "المملوك" ... فإن لم يكن هناك مالك يمتلك المملوك" ... ولا حاجة لأن يُطلق عليه لفظ "مملوك" ... ولا حاجة لأن يُذكر المالك .

ونستطيع أن نتخيل المستشرقين في ترجمتهم الفظ "مملوك" ... فهو بالإنجليزية مثلا OWNED ، والإنسان المملوك ما هو إلا عبد SLAVE . وربما يتوخى المستشرق أو المؤرخ الأجنبي المسلامة ويطلق عليه التسمية الأصلية MAMLUKE ثم

يشرع فى شرحها بلغته هو سواء الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها حتى يعلم القارئ أن المملوك يختلف عن العبد slave.

ثم تأتى المشكلة الكبيرة عندما يتبوأ المملوك عرش السلطنة أو يشغل منصب ناتب السلطنة أو آخر القلعة أو قائد الجيش أو غير ذلك من المناصب الرفيعة فى الدولة. فلم نقرأ الإسم ومعه "مملوك"، فمثلا لا يتحدث مؤرخ أو مستشرق عن (المملوك الظاهر بيبرس) ، أو (المملوك سيف الدين قطز) ، وإنما (السلطان الملك الظاهر بيبرس ، أو الملك السلطان سيف الدنيا والدين قلاوون).

_ مثال الأفريقي الأمريكي:

كان حريا بالعرب والمسلمين أن يطوروا هذه التسمية ، على الأقل عرفاتا لما قدموه للعرب والمسلمين من معجزات شتى بدءا من هزيمة الفرنسيين في مصر وأسر قديسهم لويس التاسع وجيشه العرمرم ، مرورا باسترداد كبريات المدن العربية والإسلامية ، كطرابلس وأنطاكية واللاذقية وغيرها ، ثم فتح عكا وباقى المدن الساحلية ، و صد الهجمات المغولية حتى بعد تفريغ الشرق من الصليبيين.

كان حريا أي يطلق عليهم (مماليك الله ، مماليك الإسلام ، مماليك الرسلام ، مماليك الرحمن ، مماليك الأمة ، مماليك الجهاد ، مماليك الشرق الناهض أو مماليك النصر ، أو غير ذلك من عشرات الأسماء ، كما فعل مواطنو الولايات المتحدة ، وأصبح عبيدهم ، أو الأفارقة الأمريكان ، يشغلون اعلى المناصب في الدولة . ولا نسترسل الآن ، ولكن عود إلى نبذ الإفتراء على المماليك كبداية .



Black page in human history صفحة سوداء في التاريخ الإنساني

ولقد استقر لفظ المماليك في لغتنا العربية وفي تناريخ مصر والشرق ، ليس له سوى دلالة واحدة تنصرف الى هؤلاء السلاطين العظام الذين حملوا رسالة الدفاع عن الشرق وإنقاذه من البرابرة المغول ، وأقرانهم الصليبيين .

ومن عجب أن يطلق على بيبرس مثلا لفظ مملوك ، وهو الذي أقام الدنيا وأقعدها ، وهدم ممالك وأسرالجموع حتى تغنوا بسيرته إلى اليوم . من يا ترى كان مالك عندما كان يأمر فيطاع ؟ وقلاوون (أبو الملوك) من كان مالكه ؟

نورالدين خليل

الإسكندرية في ٢٥ مايو ٢٠٠٧م

الفصل الاول

عَكًا قبل الأشرف خليل

_ عكا: النشأة والتطور التاريخي

_ ١١٠٤م استيلاء الصليبيين على عكال

_١١٨٧م استيلاء صلاح الدين على عكا

_ ١١٨٨م عكا مع الصليبيين مرة أخرى

_ عَكسا: النشأة والتطور التاريخي

مدينة عكا الساحلية من أقدم المدن في العالم. وتقع على نتوء جبلى فى الطرف الشمالي لخليج حيفا في فلسطين المحتلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ويعتقد أن المدينة القديمة بـُنيت في العصر البرونزي في موقع يطلق عليه (تل الفخار) ، إلى الشرق من المدينة الحالية. ويرجع تاريخها إلى الفرعون المصرى تحتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٠٠ قبل الميلاد).

واحتلها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ، كما احتلها بطليموس الثانى الذى حكم فى الفترة من ٢٨٥ إلى ٢٤٦ قبل الميلاد ، وأعاد تسمية المدينة ، وسماها باسمه بطليموسية Ptolemais .

وكانت عكا القاعدة الرئيسية للرومان عندما أخمدوا تمردا يهوديا في سنة ٢٦-٧٠ للميلاد. وقام الرومان بتوسيع وتحسين المرفأ الطبيعي في الطرف الجنوبي من المدينة ، وأنشأوا حاجز أمواج ، وبذا أصبحت أحد الموانئ الرئيسية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

ومن بين الغــزاة المتــاخرين الذين غــزوا عكا الفــرس فى سنــة ١١٠٩ والعـرب ٢٦٨ م والصليبيون على المدينــة اســم والعـرب ٢٣٨ م والصليبيون على المدينــة اســم (القديسـة جان العكاويـة St. Jean d'Acre). وكانت عكا آخر عاصمة للممالك والإمارات الصليبية كما سنري .

وهى مدينة حافلة بالمتعرجات التي تشعرك بأنك تتحرك في متاهة من الشوارع والحارات الضيقة وتكتشف بقايا وأطلال المسلمين والصليبيين والعثمانيين. كما أن المائر بطول الأسوار يمتع ناظريه بمنظر البحر الرانع وبمدينة حيفا. ويحيط بعكا جدار محصن ، على موقع المدينة الحالية .. وفي واقع الأمر فإن ميناء عكا يحظى بحماية جيدة ، والمدينة محصنة بميناء عميق القاع ، وبذا تتعكس أهميتها في الأحداث التي مرت بها خلال فترة الحملات الصليبية .

ـ ١٠٤م استيلاء الصليبيين على عكـا

نحن الآن فى السنوات الأولى من القرن الحادي عشر ، وتحديدا فى عام ١٠٠٣ م ، وعكا تحت الحكم الفاطمى . وكان الصليبيون قد أفلحوا فى إنشاء مملكة القدس قبل ذلك بأربعة أعوام باحتلالهم مدينة القدس فى سنسة ٩٩،١م ، وارتكابهم المجازر الرهيبة الشهيرة.

"... وفى ربيع ١٠١٣ م حاصر بالدوين عكا بمساعدة بعض السفن الإنجليزية التي كانت لا تنزال معمه ، وأوشكت الحامية على الإستسلام لولا وصول إثني عشر قادسا فاطميا وعدد كبير من سفن النقل القادمة من صدور وصيدا تحمل الرجال وآلات إطلاق النبران الإغريقية ، فلم يجد بالدوين مفرا من رفع الحصار..."

"... وفي مايو التالي ١٠٤ ام وصل إلى حيفا من جنوا اسطول حربي سبق وأن ساعد ريموند التولوزي في الإستيلاء على جبيل . وقابل بالدوين قادته وضمن تحالفهم الخضاع عكا بعد أن وعدهم بما اعتادوا عليه من قبل ، وهو ثلث الغنائم وامتيازات تجارية وأحد الأحياء في السوق ؛ وبدأ الحلفاء حصار عكا يوم ٦ مايو . وقاومهم القائد الفاطمي ظهر الدولة الجيوشي مقاومة عنيدة ؛ لكن مصر لم ترسل إليه أية مساعدة ، فاضطر بعد عشرين وما إلى أن يعرض التسليم بشروط مماثلة لشروط استسلام أرسوف ، وهي السماح بالمرور الأمن للمواطنين الراغبين في الرحيل مع منقولاتهم ، ومعاملة الباقين كر عايا للملك الفرنجي وقبل بالدوين الشروط والتزم بها ، بل وأمر بالإبقاء على مسجد لرعاياه المسلمين . أما بحارة إيطاليا فقد أبوا أن يتركوا تلك الثروة الهائلة تفلت من أيديهم ، فانقضوا على المهاجرين وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوهم جميعا ، مما أغضب بالدوين وهم بمهاجمة أبناء جنوا لمعاقبتهم ، لول أن وصل البطريق إيفرمان وأفلح في تهدئته ومصالحته بهم وبسقوط عكا نال بالدوين ما كان يصبو إليه من مرفأ أمن في شتى الأجواء المناخية . وبرغم بعد الشقة عن القدس بما يزيد على مائة ميل ، سرعان ما أصبحت عكا الميناء الرئيسى للمملكة بدلا من يافا بممراتها المائية المفتوحة . وفضلا عن ذلك، كانت عكا هى الميناء الرئيسى الذي تشحن منه بصائع دمشق إلى الغرب ، ولم يتوقف هذا الطريق التجاري بعد الغزو الفرنجي ، وإنما شجعه مسلمو عكا المقيمون بها "

A History of the Crusades, vol.3 By Sir Steven Runciman (تاريخ الحملات الصليبية جـ٣ ص ١١٨ ــ ١١٩) (للسير ستيفن رانسيمان ــ ترجمة المؤلف)

-۱۱۸۷م استیلاء صلاح الدین علی عکا

١ - انتصار صلاح الدين الأيوبي في حطين

فى نفس ذلك العام حقق صلاح الدين الأبوبى انتصاره الكبير على الجيش الصليبى فى معركة حطين . ذلك أن أن الجيش الصليبى كله سار من صفورية إلى طبرية عبر طريق شمالى بحيرة طبرية ، وكان معسكر صلاح الدين فى كفر سبت على طريق البحيرة أيضا ، وسار قرابة خمسة أميال عبر تلال حطين حيث بهبط الطريق باتجاه البحيرة ، وانضم اليه هناك أغالب جنوده .

وسار الجيش المسيحي على التلال العارية من الأشجار، وكان الطريق بطوله خاليا من المياه مما أدى إلى معاناة الجيش من الظمأ رجالا وجيادا على السواء. وفي عصر الجمعة ٣ يوليو وصل الفرنج الى الهضبة التى تعلو حطين مباشرة. وأرسل فرسان المعبد يخبرون الملك جوي عدم استطاعتهم المضى أكثر من ذلك فقرر التوقف تلك الليلة ، ما أن سمع ريموند قائد المقدمة بذلك حتى عاد على جواده من المقدمة صائحا: "أه أيها الرب الإله، لقد انتهت الحرب، إنما نحن رجال موتى، لقد انتهت المملكة". وأخذا بنصيحته ضرب الملك جوي معسكره باتجاه المنحدر حيث يوجد بنر تحلق حوله الجيش كله، على أنهم أساءوا اختيار الموقع، إذ كان البئر جافا. ولم يملك صلاح الدين ضبط مشاعر غُبطته وهو ينتظر في الوادي المخضوضر بأسفل. لقد جاءته فرصته أخيرا. وانتهت معركة حطين بالقضاء على الجيش المسيحى كله، ومن ثم استسلمت فلسطين كلها تقريبا لصلاح الدين.

٢ ـ استسلام عكا

نقل صلاح الهين سواد جيشه جنوبا الى عكا . ولم يكن القهر بمان جوسلين (أوف كورتناي) يفكر إلا فى سلامته الشخصية . فأرسل مواطنا يدعى بطرس بريس لمقابلة صلاح الدين عندما جاء أمام الأسوار يوم ٨ إبريل يعرض الإستسلام إذا ضمن أرواح وممتلكات السكان . وبدا للكثيرين فى المدينة أن من العار أن تستسلم المدينة هذا الإستسلام الذليل ، فحدثت أعمال شغب لفترة قصيرة أحرقت فيها عدة منازل ؛ لكن النظام استتب قبل استيلاء

صلاح الدين على المدينة رسميا في العاشر من الشهر . وكان يعلق الإمال على اقناع أغلب التجار المسيحيين بالبقاء هناك ، لكنهم كانوا يخشون المستقبل فهاجروا ومعهم كل ممتلكاتهم . ووجد المنتصرون مخزونات هائلة من البضائع والحرير والأدوات المعدنية والمجوهرات والأسلحة التي تخلى عنها التجار ، فراحوا يوزعونها على الجنود والرفاق، بإشراف إبن صلاح الدين الأفضل الذي أعطيت له المدينة . أما مصنع السكر الضخم فقد انتهبه تقى الدين مما ضايق صلاح الدين , وبينما مكث صدلاح الدين في عكا ، كانت كتائب من جيشه تتسلم المدن والقلاع التي تستسلم في الجايل والسامرة .

المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٥

- ١١٨٨م عكا مع الصليبيين مرة أخرى

انتصر صلاح الدين الأيوبي على الجيوش الصليبية كلها في معركة حطين الشهيرة ، واستسلمت له القدس ، بل فلسطين كلها تقريبا بمدنها وقلاعها ، فيما عدا كونتية طرابلس التي كانت تضم أنطاكية واللاذقية، وكذا صور وصيدا ويعض القلاع المتناثرة . وقد شهدنا استسلام عكا لصلاح الدين ، فكيف استولى عليها الصليبيون المهزومون ؟

إن أفضل وأصدق سرد تاريخي لإستيلاء حفسة من المهزومين على عكا وفيها حامية صلاح الدين وجنوده بعد الإنتصار يرد في موسوعة السير ستيفن رانسيمان المعنونة "تاريخ الحملات الصليبية":

.....)

كتبت الملكة سبيلا مرارا وتكرارا إلى صملاح الدين تتوسل إليه أن يعيد إليها زوجها. وفي يوليو أجابها صلاح الدين إلى طلبها ، وبعد أن أقسم جوي أغلظ الإيمان بأنه سوف يعبر البحر عائدا إلى بلاده وأنه لن يحمل السلاح قط في وجه المسلمين أرسل مع عشرة من أبرز أتباعه بمن فيهم الكونستابل أمالريك إلى طرايلس للإنضمام إلى الملكة.

١١٨٨ م : المنافسة بين جوى وكونراد

وانسحبت الملكة سبيلا إلى طرابلس ،ولحق بها زوجها الملك جوي فور إطلاق سراحه ، وعلى الفور عثر على أحد القساوسة الذي حرره من قسمه الذي أقسمه لصلاح الدين . إذ كان قسما تحت الإكراه، ولأحد الكفرة، ولذا قالت الكنيسة إنه قسم باطل . وأغضب صلاح الدين أن يسمع بذلك، غير أن دهشته جاوزت كل حد. وبعد أن زار جوي أنطاكية حيث وعده بوهمند وعدا مبهما بالمساعدة ، مسار مع مناصريه من طرابلس إلى صور منتويا الإستيلاء على ما تبقى له من مملكته

الغابرة . وأغلق كونراد البوابات في وجهه ، فكان كونراد وحزبه يرون أن جوي قد خسر المملكة في حطين وأثناء أسره ، وقد تركها بلا حكومة ، وكان كل شيئ خليقا بالضياع لولا تدخل كونراد . ولما طلب جوي أن يجرى استقباله كملك ، كان رد كونراد أنه يحتفظ بصور أمانة لمعواهل الصليبيين الأتين لإنقاذ الاراضى المقدسة ، وعلى الإمبر اطور فريدريك وملكي فرنسا وانجلترا أن يقرروا لمن يُعطى الحكم في نهاية الأمر. وبدا الجدل عادلا ويناسب كونراد تماما ؛ إذ ربما يحظى جوي في مطلبه بتأييد ريتشارد ملك انجلترا ، وهو السيد الأعلى الموسينيين في جبين ، بجنوب غرب فرنسا ؛ ولكن الإمبر اطور فريدريك وفيليب ملك فرنسا من أبناء عمومة كونراد ومن أمدقائه ، وعاد جوي مغتما مع حزبه إلى طرابلس

وفى ابريل عاد جوي مع سبيلا إلى صمور. ومرة أخرى طلب منحه السبطرة على المدينة ، ولما وجد كونراد شديد العناد كسابق عهده ، عسكر أمام أسوار المدينة. وفى نفس الوقت تقريبا وصلت تعزيزات قيمة من الغرب . ففى وقت سقوط القدس ، كانت مدينتا بيزا وجنوا تخوضان واحدة من الحروب المعتادة بينهما . ومن بين انجازات البابا جريجورى الثامن أثناء بابويته القصيرة مفاوضات الهدنة بينهما والوعد بأسطول من بيزا فى حملة صليبية . وأبحر أبناء بيزا قبل نهاية العام

اكنهم أمضوا الشتاء في ميناء ميمينا الواقع شمال شرق صقلية ، ووصلت سفيه البالغ عددها اثنتين وخمسين سفينة إلى صحور يسوم ٦ ابريل ١١٨٩م ، تحبت قيادة أوبالدو رئيس أسافقتهم . ويبدو أن أوبالدو تشاجر مع كونراد فور وصوله مباشرة ، وعندما ظهر جوى انضم إليه أبناء بيزا . كما فاز بتاييد القوات الصقلية التي انضمت إليه . وفي بداية الصيف حدثت بعض المتاوشات الطفيفة بين القرنج والمسلمين ، غير أن عدلا الدين كان ما يزال يرغب في أن تستريح جيوشه ، وكان المسيحيون ينتظرون المزيد من المساعدة من الغرب . وفجأة هذه المطريق الساحلي للهجوم على عكا ، وأبحرت سفن بيزا ومقلية بمحاذلته .

١١٨٩ م : جوى يصل أمام عكا

وكانت تلك حركة من حركات التهور البانس، وقرار رجل شجاع لكنه في ذات الوقت غاية في المماقة. فعد أن أحبطت رغبة جوي في أن يحكم صور، شعر بحاجته الملحة إلى مدينة يستطيع منها أن يعيد إنشاء مملكته. وكان كونراد أنذاك في شدة المرض ، ورأي جوي الفرصة سانحة لكي يُظهر أنه هو القائد النشط للفرنج ، لكن المخاطرة كانت هائلة ، ذلك أن حجم الحامية الإسلامية في عكا يجاوز ضعف حجم جيش جوي كله ،

فضلا عن وجود قوات صلاح الدين النظامية في متناول اليد. ولم يكن أحد يتوقع النجاح لهذه المغامرة ، لكن للتاريخ مفاجآته . فإذا كان كونراد بطاقته الجامحة هو الذي أنقذ بقايا فلسطين للعالم المسيحى ، فإن حماقة جوى الطائشة هي التي حولت المدوبدأ حقبة جديدة من إعادة الغزو .

.

وصل جوي إلى مشارف عكا يوم ٢٨ أغسطس وضرب معسكره على تل تورون ، حاليا تل الفخار ، الذي يبعد مسافة ميل شرقي المدينة ، على نهر بيلوس الصغير كي يتزود رجاله بالماء . وبعد ثلاثة أيام فشلت محاولته الأولى في الهجوم على المدينة ، فلبث ينتظر التعزيزيات .

.................

١٨٩ ١م: صلاح الدين ينتقل إلى عكا

و بعد أن حصن الفرنج معسكر هم الذي تركبوه تحت قيادة جودفري أخي جوى ، شنوا هجوما كبيرا على خطوط مملاح الدبن و كانت معركة مريرة ؛ ذلك أن تقى الدين الذي كان على ميمنة العرب انسحب تمويها لينصب كمينا لفرسان المعبد الذين كانوا قبالته ، لكن صلاح الدين لم ينتبه للمناورة وانطلق لإنقاذه فأضعف واسطة جيشه وكانت النتيجة أن تداعى الوسط والميمنة فاستداروا هاربين بعد أن نزلت بهم خسائر فادحة لكن ميسرة العرب كانت متماسكة ، وعندما تفرقت صفوف المسيحيين لمطاردة الهاربين ، هاجمهم صلاح الدين بالميسرة وردهم وهو يفرون في فوضي إلى معسكرهم الذي كان يتعرض في نفس الوقت لهجوم عنيف قامت به حامية عكا . وصمد جودفري أوف لوسينان في المعسكر ، وسرعان ما أصبح الجزء الأكبر من الجيش المسيحي آمنا خلف دفاعاته ، ولم يشأ صلاح الدين أن يجازف بمهاجمتهم . وسقط الكثير من فرسان الفرنج على أرض المعركة ومن بينهم أندرو أوف برين ، وأصيب الجنود الألمان بالذعر ولحقت بهم خسائر جسيمة ، كما كانت خسائر فرسان المعبد جسيمة هي الأخرى ، أذ أسر سيدهم الأعظم جيرار أوف ريدفورت ، وهو الذي كمان يمثل العبقرية الشيطانية للملك جوى في الأيام التي سبقت حطين ، ودفع حياته

ثمنا لحماقاته . ولم ينقذ كونراد نفسه سوى تدخل غريمة الشجاع الملك جوي .

ولقد كان النصر في جانب المسلمين ، وإن لم يكن كاملا ، إذ لم يبرح المسيحيون مكانهم ؛ وأثناء الخريف جاءهم المزيد من المساعدة من الغرب ، فقد وصل أسطول اللندنيين في نوفمبر

وجاء صليبيون آخرون كثيرون من نبلاء فرنسا ومن فلاندرز وايطاليا وحتى من هنجاريا والدانمارك وبهذه القوات الإضافية تمكن الفرنج من استكمال حصار عكا من البر . لكن صلاح الدين كان يتلقى التعزيزات هو الأخر ، إذ أن أنباء ارتحال الإمبراطور فريدريك بارباروسا التى شجعت المسيحيين دفعت صلاح الدين إلى استدعاء أتباعه من سائر أنحاء آسيا وسرعان ما غدا جيشه ضخما بما فيه الكفاية لكي يحكم بدوره حصار المسيحيين أو يكاد ؛ وإذن أمسى المحاصرون محاصرين)

المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٥٦ - ٦٢

وتمكن جوي من الصمود ، وحدثت اختراقات لجيش جوي ، كما تصادف وصول تعزيزات إضافية من صور ومن وراء البحار ، وتواصل الخريف بالشتاء ، وأجب رالطرفان على التوقف في شتاء عام ١١٩٠ م ، وحاصرت المجاعة

المعسكرين ، لكنها كانت أشد وطأة على الصليبيين، فكانت عملة البنس (الدرهم الصغير) في معسكرهم ثمنا لمجرد ثلاث عشرة حية من الفاصوليا . ووصلت صلاح الدين تعزيزات من الشمال ، وصار الحصار محكما حول معسكر الفرنج . على أنه في شهر مارس ، وقد بدت أوضاع الصليبيين باعثة على البأس ، وصلت سفن التعزيزات للصليبيين لا تحمل الغذاء فحسب، وإنما تحمل أيضا أنباء مفادها أن ملكي فرنما وانجلترا قد وصلا أخيرا إلى مياه الشرق ، وكان ذلك بعد مرور أربع سنوات على معركة حطين . ونزل ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد في معسكر الصليبيين ، مما أثار بهجة عارمة وتمكن الفرنسيون والإنجليز من التفاوض سرا مع الحامية التي قررت فعلا الكف عن الكفاح ، وكانت شروط الصليبيين أن تستسلم عكا بكل ما فيها من سفن ومخزونات عسكرية ، وتدفع منتي الف قطعة ذهبية للفرنج والإفراج عن ما نف وإعاده الصليب الحقيقي . فإذا نفذت الحامية هذه الشروط فسوف يبقي أفرادها على وإعاده الصليب الحقيقي . فإذا نفذت الحامية هذه الشروط فسوف يبقي أفرادها على قد الحياة .

وسبح أحد أفراد الحامية إلى البابسة وأنباً صلاح الدين بما اتفق عليه وأن يقوم هو بتنفيذ الشروط. وبينما كان صلاح الدين جالسا أمام خيمته يجهز ردا يمنع الحامية من الخصوع لهذه الشروط، ويعدهم بالمساعدة العاجلة، شاهد رايات الفرنج ترفرف على أبراج المدينة، فتملكه شعور بالإرتياع. لقد سبق السيف العنل، وأبرم ضباطه المعاهدة باسمه ولكونه رجلا شريفا، التزم بالمعاهدة وانتقل بمعسكره بعيدا عن المدينة، وتجلد استعدادا لإستقبال سفراء الفرنج المنتصرين لتنفيذ شروط المعاهدة. و هكذا عادت عكا مرة أخرى إلى الصليبيين بعد تحرير ها لتبقى معهم مانة عام اخرى .

$$(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)$$

الفصل الثاتي

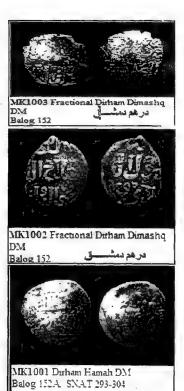
السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون

٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م: المعاهدة بين قلاوون ومملكة عكا

٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م: مذابح المسلمين في عكا

٩٨٦ هـ/ ١٢٩٠م: وفاة السلطان قلاوون

٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م: الأشرف سلطانا



نحن الآن بعد مرور مائة عام تقريبا على الأحداث التي مرت بنا في الفصل السابق ، وتحديدا في عام ١٢٨٢ م . في ذلك العام كان قلاوون يجابه تهديدا مغوليا جاء وصفه وتفصيله في سلسلة المماليك المفترى عليهم (٤) ، مما دفعه إلى عقد معاهدة مع الصليبين في عكا ليضمن حيادهم :

٦٨٢ هـ /٢٨٣ م : المعاهدة بين قلاوون ومملكة عكا

ولقد شعر قلاوون بالخطر من أنباء هجوم مغولى ، فأسرع بالتصالح مع سنقر الأشقر ، مانحا إياه إقطاعيتين كبيرتين في شمال سوريا هما أنطاكية وأفاميا ، وبذا أدخل سنقر الأشقر في جناحه ووقف الرجلان يستعدان لصد الهجوم المغولى المرتقب . ولم يكتف قلاوون بذلك ، وإنما اتجه الى الصليبيين كي يضمن حيادهم وعدم تعاونهم مع المغول ، فبادر بإرسال رسله الى عكا يقترح عقد هدنسة مدتها عشر سنوات ، على المرغم من أن الهدنة المعابقة مع عكا في عام ٢٧٢ م كانت ما تزال سارية لمدة عام أخر . ووجد أبناء عكا في حياتهم وفي تجارتهم وتعاونهم مع البندقة وغيرهم . على أن البعض من السفارة المصرية تصح الفرنج بعدم قبول الهدنة مع قلاوون إذ سرعان ما سينقلب عليهم بعد فراغه من الغزو المغولى . وعندما المحورة أوف سان سيفرينو بذلك ، أرسل الى السلطان قلاوون يحذره من هؤلاء المصريين ، واستطاع قلاوون القبض على هؤلاء المتآمرين في الوقت الخونة المصريين ، واستطاع قلاوون القبض على هؤلاء المتآمرين في الوقت

تاريخها ٣ مايو ١٢٨٣م ، وكانت أهم بنود الهدنة التي عقدت مع مملكة عكا (١٢٨٣م) كما يلي:

- ١ _ مدة الهدنة عشرة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام.
- ٢ ـ منح التجار من رعايا السلطان الأمن وحرية العمل التجاري في عكا والبلاد الساحلية.
 - ٣ ـ توقف الفرنجة عن الاعتداء على أراضي دولة السلطان .
 - ٤ ـ لا يجدد الفرنجة في عكا وعتليت وصيدا حصنا ولا سورا.
 - ٥ ـ تبادل الرعايا الفارين ضمن شروط محددة.
- ٦. حرية الملاحة وتقديم العون الى السفن الجانحة، والمحافظة على محتويات السفن لتسليمها الى أصحابها أو من يلوذ بهم.
- ٧ ـ يتولى فرنج عكا إنذار السلطان وإعلامه بأي تحرك اوروبي مضاد له، وكذلك
 بالنسبة الى تحركات المغول.
 - ٨ ـ يضمن السلطان حماية عكا وعتليت من أعمال القرصنة.
- ٩ ـ السماح للحجاج الأوروبيين بالوصول الى الأماكن المقدسة، وضمان أمنهم وسلامتهم وحرية تعيدهم.

وبعد نحو شهرين ، في ١٦ يوليو ١٢٨٣ م وقع بوهمند على هدنة مماثلة .

وهكذا حقق قلاوون انتصارا دبلوماسيا كبيرا يدل بحق على حنكت السياسية الى جانب عبقريت العسكرية . فلو أن الصليبيين اتحدوا وجابهوه ، لتعقدت حماته ضد المغول ولأصبح فى فى وضع لا يحسد عليه وربما أصابته أخطار كبيرة . وفى عام ١٩٠٠م، وقبيل وفاته ، أبرم قلاوون تحالفات تجارية مع أبناء جنوا ومملكة صقلية .

٦٨٩ هـ / ٢٩٠٠م: مذابح المسلمين في عكا

شعر أهل عكا ببعض الثقة بعد توقيع المعاهدة ، فعادت التجارة إلى ما كانت عليه من ازدهار ، وفي صيف ذلك العام ١٢٩٠ م راح تجار دمشق يرسلون قوافلهم الساحل وهم فرحون بوفرة الحصاد ، واتساع نعم الله على العباد ، ودأب الفلاحون المسلمون على التجمع بمحاصيلهم في أسواق عكا . وكان عاما فريدا بين الأعوام ، إذ لم تكن المدينة قد شهدت من قبل مثل ذلك النشاط وتلك الحيوية . وفي شهر أغسطس هبط إلى المدينة الصليبيون الإيطاليون ، فاستحالت الأحوال من هدوء واستقرار إلى هياج واستنفار ، إذ كان الإيطاليون فوضويين ، سكاري ، فاسقين ، لاسبيل إلى قادتهم للسيطرة عليهم لعجزهم عن دفع رواتبهم .

وكان الإيطاليون الوافدون قد جاءوا لمحاربة الكفرة المسلمين ، وراحوا يهاجمون التجار والفلاحين المسلمين المسالمين . واندلعت في أحد أيام اغسطس أعمال شغب في حانة للشراب بتواجد فيها المسيحيون والمسلمون ، وقيل إن تاجرا مسلما أغوي سيدة مسيحية ، واستنجد زوجها بجيرانه . وفصأة اندفع غوغاء الصليبيين في الشوارع والضواحي يقتلون كل مسلم يقابلونه في طريقهم ، يعرفونهم بلحاهم ، واذا هلك أيضا مسيحيون كثيرون بسبب لحاهم . وارتاع بارونات المدينة وفرسان الانظمة الدينية العسكرية ، وتمكنوا بشق الأنفس من إنقاذ عدد قليل من المسلمين أخذوهم الى القلعة حيث الأمان .

وسرعان ما علم السلطان بتلك المذابح ، فاستشاط غضبا وقرر اقتلاع الفرنج الصليبيين من الشام كلها . وسارعت حكومة عكا بإرسال اعتذاراتها وأسفها ، لكن السلطان أرسل مبعوثيه الى عكا وأصر على تسليمه المذنبين لمعاقبتهم . وعقد الكونستابل أمالريك مجلسا نهض فيه السيد الأعظم لفرسان المعبد ونصنح بتسليم جميع المجرمين المسيحيين المسجونين آنذاك في سجون عكا إلى ممثلي السلطان على أنهم مرتكبوا الجريمة .غير أن الرأي العام لم يكن يسمح بإرسال مسيحيين الى حتفهم على أيدي الكفرة . ولم يتلق سفراء السلطان أية ترضية ، وبدلا من ذلك كانت هناك محاولة فاترة لإثبات أن بعض تجار المسلمين مذنبون بإشعا ل الشغب ، وبذا يتعين أن يتُلقى بالملامة عليهم .

١٨٩ هـ / ١٢٩٠م: وفاة السلطان قالوون

وعقد قلاوون العزم على مهاجمة عكا . وراح يعبئ الجيش المصري ويجهز الإن الحصار ، وفي ذات الوقت صدرت الأوامر للجيش السوري بقيادة ركن الدين طوقسو واليه على دمشق بالمسير إلى ساحل فلسطين بالقرب من قيصرية وإعداد الاستار .

وفي ٤ نوفمبر ١٢٩٠م انطلق من القاهرة على رأس جيشه . لكنه ما أن شرع في المسير حتى أصابه المرض ، وبعد سنسة أيام توفي في مرجة التين على مجرد خمسة أميال من القاهرة . وبينما هو على فراش الموت أخذ من إبنه الأشرف خليل وعدا بمواصلة الحملة .

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)

٦٨٩ هـ/٢٩٠م: الأشرف خليل سلطانا

كان مشهدا مهيبا ، فناتب السلطنة ، حسام الدين طرنطاي ، في جيئة وذهوب بين يدى الأشرف خليل ، وكبار الأمراء ما يفتأون يصدرون الأوامر المجنود بهدم الخيام ونقل العتاد والإنتظام في العودة إلى القاهرة بعد وفاة قلاوون . ونسُقِل جثمانه وجمعت الخزائن من الخيمة في نظام تام ، والأشرف خليل يلتفت يمنة فإذا الاتباع يهرعون لتنفيذ ما يراه . ولم يمض وقت طويل حتى عاد الجبش والجمع إلى القلعة ، وجلس الأشرف خليل في دست السلطنة ، لم يختلف عليه أحد ولا نطق لسان بكلمة واحدة . حدث ذلك في السابع من ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ . وسير الرسل الى الممالك الإسلامية والشامية . وفي ثنايا الحزن على والده ، ومن بين طيات الأسى ،

أهمى منم الغيث الذي يوصف فجودك البحر الذي يعسرف النهم رمسح ولا مرهف جادوا وما جادوا ولا أسرفوا بفعل مائس ما أسافسوا مثل الذي خلف خلفسوا نلت فأنت الملك الأشسرف

نداك با عادل يا منصف أغن عباد الله عن نيلهم أغن عباد الله عن نيلهم أطاعك الناس اختيارا وما كم ملكت مصرملوكا وكم حتى أتى المنصور أنسى الوري ما قدموا مثال بقاه ولا فتيه على الأملاك فخرا بما

وما أن استقر في عرش السلطنة حتى بدأ في إحداث تغييرات تتصل بأمراء المماليك المحيطين به ، فبدأ بعزل الأمير حسام الدين طرنطاي ، وهو نانب السلطنة وقبض عليه وكان ذلك آخر العهد به ، إذ كان بينه وبين الأمير علم الدين سنجر الشجاعي أحقاد ومواجد كثيرة وشحناء قديمة ، وكذلك بين طرنطاي والأمير بدر الدين بيدرا ، وبعض المماليك الأخرين ، فكان طرنطاي يسطو عليهم ويحيل بينهم وبين ما تحدث بهم أفكار هم ، فما كان منهم إلا أن بثوا سمومهم ضد طرنطاي لدى السلطان في كل مناسية وغير مناسبة ، وأشاروا على السلطان بالقبض عليه قبل استفحال أمره . فقبض عليه بعد وفاة أبيه بثمانية أيام . وأغلب الظن أنه أودعه السجن حيث قضى نحبه فيه . ليس ذلك وحسب ، وإنما استولى على أمواله وذخائره وخيوله ومماليكه وحشمه ، فكان أشبه بانقلاب على نائب السلطنة . ثم إنه منح نيابة السلطنة للأمير بدر الدين بيدرا المنصوري ، واتخذ لنفسه وزيرا شخصما يدعى شمس الدين محمد بن السيوس وهو من تجار الشام ، فأطلق العنان لنفسه في الأمر والنهي .

- الإسكندر المملوك

إذا كنت في حلب ، ووقفت أصام البوابة الرئيمية للقلعة ، ستجد مكتوبا في أعلاها عبارة طويلة كتب فيها السلطان الملك الأشرف خليل ١٩٢/ ٢٨٩ هـ أعلاها عبارة طويلة كتب فيها السلطان الملك الأشرف خليل ١٢٩٤/١٢٩ هـ يدعى "الإسكندر زمانه"، لكثرة فتوحاته وانتصاراته العسكرية في فترة وجيزة . ولقد أضفى الملك الأشرف خليل على ذلك اللقب معنى خاصا استناهم من انتصاراته العسكرية ضد الفرنج والأرمن وطموحاته لاسترداد الأراضى التي احتلها المغول سنة ١٢٥٨ م . ولقد كان الملك الأشرف بمثابة الرمز الملهم الأقرب

للإسكندر المقدونى ذى القرنين ، فهو بقرنيه قد بنى السد الذى حاصر قبيلتي يأجوج ومأجوج المفسدتين فى الأرض حتى يوم القيامة . وهكذا ، فإن السلطان المنتصر الذى لا شاغل له إلا أن يعيد الخلافة فى بغداد ، هو بمثابة بعد دينى أخروي جعله يبدو كبطل عالمى وكباعث لعهد إسلامى جديد .

وإذا كنت فى القاهرة فى نواحى مساجد السيدات الفضليات ، أخبروك بأن الأشرف هو آخر الأسماء التى أطلقت حديثا على الشارع الذى يقع فيه ضريح السلطان الأشرف خليل خليفة الملطان المنصور قلوون ، وكان للشارع أسماء عديدة ، أخرها فى نهاية القرن التاسع عشر وكان إسمه الخليفة تسميا باسم ضريح محمد الخليفة ، كما كان يسمى آنذاك باسم السيدة سكينة . وهو الشارع الذى يسجل أسماء بعضا من ذرية النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

ويمتد شارع الأشرف من ميدان السيدة نفيسة في الجنوب إلى تقاطع شارع الصليبة في الشمال ، ومن درب الحصر إلى قبر السيدة رقية . والشارع والناحية يؤلفان متحفا للعمارة الإسلامية في مدينة الألف منذنة .

ومن بين المباتى التاريخية عدد من الأضرحة المكرسة لأناس تركوا بصماتهم لا على مصر وحدها ، وإنما على تاريخ العالم العربي . ومنها الملكة المصرية الشهيرة شجرة الدر ، التى ساعد مكرها العبقرى في حماية مصر من الصليبين في أعقاب موت زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأسفل الطريق مباشرة يقع ضريح الأشرف بن قلاوون الذي اشتهر بطرد آخر الصليبيين من الشرق .

القصل الثالث

فتح عكسا

۱۹۱هـ/ ۱۹۱م الاستعداد للمعركــة
۱۹۰هـ/ ۱۲۹۱م المدافعون عن عكا
۲۹ إبريــل ۱۲۹۱م حصار عكـــــا
۱۶ مايــو ۱۲۹۱م آخر محاولة للتفاوض
۱۸ مايــو ۱۲۹۱م الهجوم العـام الهروب من عكـا
تدمير عكـــــا

١٩٦٠هـ / ٢٩١م الاستعداد للمعركة

خرج الأشرف خليل من القاهرة في شهر صغر ١٩٠هـ/ ١٢٩١م قاصدًا عكا، وأرسل في الوقت نفسه إلى كل ولاته بالشام بإمداده بالجنود والعتاد، ونودي في الجامع الأموي بدمشق بالاستعداد لغزو عكا وتطهير الشام نهائيًا من الصليبيين، واشترك الأهالي مع الجند في جر المجانيق.

وخرج الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بجيشه من دمشق، وخرج الملك المظفر بجيشه من دمشق، وخرج الملك المظفر بجيشه من حرابلس، وخرج الأمير بيبرس الدوادار بجيشه من الكرك، وتجمعت كل هذه الجيوش الجرارة عند أسوار عكا، وقدر عددها بنحو ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفا من المشاة؛ مجهزين بالأسلحة وعدد كبير من آلات الحصار، وبدأت في فرض حصارها على عبداً في ربيع الأخر ٢٩١٠هـ / ٥ من إبريل ٢٩١١م.

وأصدق رواية للمعركة هي التي أوردها المؤرخ المدير ستيفن رانسيمان في موسوعته "تاريخ الحملات الصليبية" "A History of the Crusades" وفيما يلي روايته التي اعتمد فيها على كبار المؤرخين العرب والأجانب على السواء:

"وشرع جيش المسلمين في التحرك في مارس ١٢٩١م، وكان الأشرف قد اتخذ جوانب الحيطة في ترتيباته واستكمالها ؛ إذ جمع آلات الحصار من سائر أنحاء السلطنة. وكان الجيش محملًا بكثير الكثير من حماة حتى أنه استغرق شهرا للإرتحال من الكرك حديث توقف لأخذ منجنيق ضخم يسمى المنصور حتى عكا جنوبا في جو ممطر ملئ بالطمي ؛ فضلا عن مائة آلة حصار أخرى صنعت في

دمشق ومصر . وكان هناك منجنيق ضخم آخر يسمى الغاضب ، ومناجق أخرى أصغر ذات كفاءة خاصة ، تعرف باسم الثيران السوداء . وفى 7 مارس غادر الأشرف القاهرة قاصدا دمشق حيث ترك الحريم . وفى ٥ ابريل وصل أمام عكا بكل قواته الضخمة . وتحدث البعض عن ستين ألف فارس ومائة وستين ألف راجل . ومهما قد تبدو هذه الأعداد مبالغا فيها فقد جاوز جيشه بكثير ما كان باستطاعة المسيحيين حشده . (الجزاري ، والمقريزي ، وأبو الفدا) (هـ)

Al-Jazari (ed. Sauvaget), pp. 4-5; Maqrisi, loc.cit.;(♠)
Abu'l Feda, p.163.

٩٠٠ هـ/ ٢٩١م المداقعون عن عكا

تسببت أنباء استعدادات السلطان في أن أرغمت أهل عكا أخيرا على التحقق من ورطتهم. وأرسلت أثناء الشتاء استنجادات عاجلة إلى أوروبا ، ولم يكن لها سوى نتائج طفيفة للغابة ؟ إذ كان قد وصل قليل من الفرسان المتفرقين خلال الخريف السابق ، من بينهم أوتو أوف جراندسون السويسري ومعه بعض الإنجليز الذين أرسلهم إدوارد الأول ؟ وجمع فرسان المعبد والمستشفى جميع رجالهم ؟ أما السيد الأعظم لفرسان التيوتون ، بوركارد أوف شواندن ، فقد تسبب في توليد انطباع سيئ باختياره التخلي عن منصبه في تلك اللحظة بعينها ؟ غير أن خليفته ، كونراد أوف فيوشتوانجن ، استدعى عددا من رفاقه الفرسان من أوروبا . و أرسل هنرى ملك قبرص جنودا قبرصيين وأخاه أمالريك لقيادة الدفاع ، ووعد بالمجئ بنفسه مع المتعزيزات . وتم قيد كل مواطن قادر بدنيا من مواطني عكا الملعب دوره . (ه)

(Hricht, Geschichte, pp. 1008ff, Gestes des Chiprois, p.241).(♠)

على أنه حتى مع ذلك كانت الأعداد قليلة ؛ إذ كان عدد سكان عكا المدنس حميما ثلاثين أو أربعين ألفا ؟ بالإضافة إلى ما يقل عن ألف فارس أو مساعد فارس بجواد ، وحوالى أربعة عشر ألف جندي مشاة ، بما في ذلك الحجاج الإيطاليون . وكانت تحصينات المدينة في حالة جيدة وقد تمت تقويتها مؤخرا بأوامر من الملك هنري وقد أصبح هناك الآن خط أسوار مزدوج لحماية شبه الجزيرة التي تقع عليها المدينة وضاحيتها الشمالية مونتموسارت ، وسورواحد يفصل مونتموسارت عن عكا، وتقع القلعة على ذلك المسور الأخير بالقرب من نقطة اتصاله بالسور المزدوج. وكان هناك اثنا عشر برجا على مسافات غير منتظمة من الأسور الخارجية والداخلية، وقد شئيد الكثير منها على تفقة بعض الحجاج البارزين ، مثل البرج الإنجليزي الذي بناه إدوارد الأول ، وبرج كونتسة بلوا التالي له . وفي الزاوية التي تنحرف فيها الأسوار من المضى شمالا من خليج عكا لكي تمضي غربا ناحية البحر، قام برج ضخم على السور الخارجي بناه حديثا الملك هنري الثاني في مواجهة البرج الملعون على السور الداخلي . وأمام برج الملك هنري كان هناك مدخل صحم بناه الملك هيو. وكانت هذه الزاوية بكاملها أضعف جزء في الدفاع ؛ ولذلك عبهد بها إلى جنود الملك تحت إمرة أخيه أمالريك وعلى ميمنته تمركز الفرسان الفرنسيون والإنجليز بقيادة جون أوف جريللي وأوتو أوف جراندسون ، ثم الجنود البنادقة وأبناء بيزا وجنود كميون عكما ، وعلى ميسرة أمالريك كان هناك أولا فرسان المستشفى ثم فرسان المعبد ؟ كل بقيادة سيده الأعظم ، ونلك لتغطية أسوار منتموسارت ، أما فرسان التيوتون فكانوا بمثابة تعزيز للكتائب الملكية عند الربج الملعون. أما في جانب المسلمين ، فقد تمركز جيش حماة – وكان معه المؤرخ أبو الفدا نفسه – ناحية المبدر في مواجهة فرسان المستشفى البحر في مواجهة فرسان المستشفى وكان الجيش المصرى في موضع يمتد من نهاية سور مونتموسارت ويلتف إلى خليج عكا ، ونصبت خيمة السلطان على مسافة غير بعيدة من الشاطئ في مواجهة برج المندوب البابوي.(

﴿ المندوب البابوي.(﴿)

Abu'l Feda, p. 164; Gestes des Chiprois, p. 243(1)

۲ إبريل ۲۹۱م حصارعكا

بدأ الحصار في السادس من إيريل . ويوما بعد يوم راحت مناجق السلطان كبيرها وصغيرها تقذف أحجارها أو حاوياتها الفخارية وبها مزيج قابل للإنفجار ، فتصطدم بأسوار المدينة ، أو تجاوزها إلى داخل المدينة ، وراح رماة سهام السلطان يصبّون سحب سهامهم على المدافعين في أروقة الأبراج وشرفاتها ، بينما راح مهندسوه يعدون العدة لتلغيم الدفاعات الصعبة ، وقيل إنه كان لديه ألف مهندس أمام كل برج . وكان المسيحيون لا يزالون مسيطرين على البحر ، وكانت مؤن الطعام تصل بانتظام من قبرص ؛ غير أنهم كانوا يفتقرون إلى التسليح ، وبدأوا يتحققون من عدم وجود ما يكفى من الرجال لوضعهم على الأسوار لمجابهة الأعداء بأعدادهم المهولة ؛ غير أنه لم يكن هناك حديث عن الإستسلام . وثبتوا في إحدي بأعدادهم المهولة ؛ غير أنه لم يكن هناك حديث عن الإستسلام . وثبتوا في إحدي ابزيل ، والقمر ساطع في السماء خرج فرسان المعبد ، يساعدهم أوتو أوف جراندسون ، واندفعوا في هجوم مباشر على معسكر رجال حماة ؛ وبوغت

المسلمون ، غير أن الكثير من فرسان المعبد تعثروا في حبال الخيام في غُبُشة الليل وسقطوا وأسروا وأرجبر الأخرون على التقهقر إلى داخل المدينة بخسائر فادحة . وبعد ليال قليلة قام فرسان المستشفى بخروج آخر في ظلام تام ، كان مآله الفشل الذريع ، إذ أشعل المسلمون على الفور مشاعلهم ونيرانهم . وبعد هذا الخروج الثاني تقرر أن ذلك باهظ التكلفة في القوة البشرية . على أن التخلي عن المعارك الهجومية أضر بمعنويات المسيحيين، وتفشى بينهم الإحساس بانقطاع الأمل . لقد كان الوقت في جانب المسلمين .

وفى الرابع من مايو ، أي بعد حوالى شهر من بدء الحصار ، وصل الملك هنرى من قبرص ومعه ما استطاع جمعه من جنود بلغ عددهم مائة خيال وألفى راجل فى أربعين سفينة ؛ وكان برفقته رئيس أساقفة نيقوسيا ، جون توركو أوف أنكونا ، وربما يعزي تأخره فى المجئ الى المرض . واستنقبل بمشاعر البهجة ، وما أن هبط الى البرحتى تسلم القيادة ونفث قوة فى الدفاع . غير أنه سرعان ما اتضح جليا أن التعزيزات كانت غاية فى الضالة ، فلم تحدث فرقا فى المحصلة العامة .

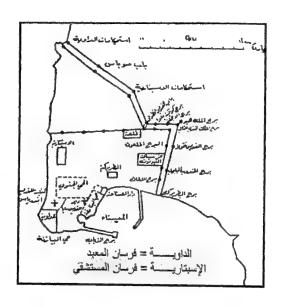
٤ مايسو ٢٩١م آخر محاولة للتفاوض

وحاول الملك محاولة أخيرة السلام ، فأرسل فارسين هما وليم أوف كافران ووليم أوف فيليير من فرسان المعبد الى الملطان يسأله لماذا خرق الهدنة ، ويعده بالإنتصاف من أية مظالم . واستقبلهما الأشرف خارج خيمته ؛ وقبل أن يبدآ بتسليم الرسالة سألهما باقتضاب ما إذا كانا قد أحضرا مفاتيح المدينة ؛ وعندما أجابا بالنفى قال إنه إنما يريد المكان ولا يعبأ بمصير السكان . وتقديرا لشجاعة الملك الذي جاء

للحرب وهو صغير ومريض فإنه سوف يبقى على السكان إذا استسلموا له ؛ ورد المبعوثان بانهما سوف يُعتبران خانتين إذا وعدا بالإستسلام ، وبعد أن قالا ذلك مباشرة قذف منجنيق من الأسوار بحجر سقط بالقرب من المجموعة ؛ فاستشاط الأشرف غضبا واستل سيفه ليقتل السفيرين ، لكن الأمير الشجاعى قام إليه وهدأه قائلا إنه لا ينبغى أن يلوث سيفه بدماء الخنازير . وسممح للفارسين بالعودة الى مليكهم .

وكان مهندسو السلطان قد بدأوا فعلا في تلغيم الأبراج. وفي ٨ مايو قرر رجال الملك أن برج الملك هو الضخم لم يعد الدفاع عنه مجديا ، فأشعلوا فيه النيران وتركوه لينهار . وخلال الأسرح التالى للغم البرج الإنجليزي وبرج كونتيسة بلوا ، وبدأ انهيار الأسوار المجاورة لبوابة القديس أنطوان وبرج القديس نقولا . وصمد برج الملك هنري الثانى الجديد حتى ١٥ مايو ، عندما انهار جزء من جداره الخارجي ؛ وفي الصباح التالى شق المماليك طريقهم في الأطلال ، وكان لا بد للدفاع أن يتقهقر الى الأسوار الداخلية . وفي نفس ذلك اليوم كان هناك هجوم مركز على بوابة القديس انطوان ولم يمنع الأعداء من الدخول الى المدينة سوى بسالة فرسان المعبد وفرسان المستشفى ، ماثيو أوف كليرمونت ، بشجاعته الفائقة .





عكاسنة ١٢٩١م

الجمعة ١٨ مايو: الهجوم العام

وفى اليوم التالى عزز المسلمون قبضتهم على السور الخارجى ؛ وأمر السلطان بهجوم علم صباح الجمعة ١٨ مايو ، وشن الهجوم بطول الأسوار من بوابة القديس أنطوان حتى برج البطريق بجوار الخليج ، غير أن الهجوم الرئيسى للمسلمين كان على البرج الملعون عند زاوية الجزء الناتئ ، وألقى السلطان بدا ، إمكانياته فى المعركة ، فلم تتوقف المناجق عن القصف ، وانهمرت سهام رماته ـ التى كاد ، أن تأخذ شكل كتلة متحدة ـ على المدينة ؛ واندفعت الكتيبة تلو الكتيبة يقودها أمراؤها بعماماتهم البيضاء تهاجم الدفاعات ؛ وكانت الضوضاء تثير الرعب ، والمهاجمون يصرخون صرخات المعركة ، تستحثهم الأبواق والصنج المعدنية والطبول التى يقرعها ثلاثمانة طبال على ظهور الجمال .

ولم يمض طويل وقت حتى شق المماليك طريقهم إلى داخل البرج الملعون مما اضطر حاميته المؤلفة من الفرسان السيريانيين والقبارصة إلى التقهقر غربا باتجاه بوابة القديس أنطوان حيث خف لمساعدتهم فرسان المعبد والمستشفى يحاربون جنبا إلى جنب ، وكأنه لم يكن هناك قط قرنان من التنافس بينهما . وحاول ماثيو أوف كليرمونت يانسا قيادة هجوم مضاد لإستعادة البرج ، بيد أنه على الرغم من أن السيدين الأعظمين تبعاه ، لم يُجَدِ ذلك فتيلا . ويطول الأسوار الشرقية للمدينة تمكن جون أوف جريالى وأوتو أوف جراندسون من الصمود لبضع ساعات . للمدينة بعد سقوط البرج الملعون استطاع الأعداء المرور من الأسوار المنهارة المنافرة المن

والإستيلاء على بوابة القديس نيقول ؛ وبذا ضباع السور بكامله ورستخ المسلمون وضعهم داخل المدينــة .

الهروب من عكا

واستعر القتال في الشوارع ، ولم يعد هناك ما يمكن عمله لإنقاذ عكا . وأصبيب وليم أوف بوجو السيد الأعظم لفرسان المعيد بإصابات مميتة في هجومه المضاد العقيم على البرج الملعون ، وحمله أتباعه إلى مبنى نظام المعبد حيث مات ، وكان معه ماثيو أوف كلير مونت ، لكنه عاد إلى المعركة وإلى حنف ، وجرح السيد الأعظم لفرسان المستشفى جون أوف فلير ، لكن رجاله أحضروه إلى المرفأ و وضعوه على متن سفينة وسط اعتر اضاته وكان الملك هنري وأخوه أمالريك قد ركبا السفينة فعلا ؛ وفيما بعد اتشهم الملك هنري بالجبن لتخليه عن المدينة ، غير أنه كان فاقد الحيلة ، وكان وإجبه إزاء مملكته يحتم عليه تجنب الأسر . وفي القطاع الشرقي جرح جون أوف جريللي وتسلم القيادة أوتو أوف جراندسون الذي صادر كل ما كان يجده من السفن البندقية ووضع عليها جون أوف جريالي وجميع ما أمكن إ،قاذه من الجنود وكان هو آخر من انضم اليهم على ظهرها . وعم اضطلااب مفزع ار صمفة الميناء ؟ واكتظت قبوارب التجديف بالجنود والمحنيين ، وفيهم النساء والأطفال، في سعى للوصول إلى الغلايين الراسية قبالة الشاطئ. وكان البطريق العجوز نبكولاس أوف حناير قد جرح جرحا بسيطا وحمله خدمه المخلصون ووضعوه على زورق شراعي صغير ؟ ومن قبيل العطف سمح لكثير من اللاجنين أن يركبوا معه القارب إلى أن هبط الزورق بثقلهم وأغرقهم جميعا. وبعض الرجال

أسعفتهم أذهانهم فاختطفوا قاربا وراحوا يجمعون رسوما باهظة من اليانسين على الأرصفة من التجار والسيدات ؛ وقام المغامر الكتالوني (يعنى من كتالونيا شمال شرق أسبانيا) روجر فلور، الذي حارب بشجاعة كفارس من فرسان المعبد أثناء الحصار ، بتولى قيادة غليون تابع لفرسال المعبد ، وكان بمثابة أساس لثروته الضخمة التي جمعها من ابتزازه لنبيلات عكا .

وكانت السفن ضنيلة العدد للغاية بحيث لا تستطيع أن تنقذ الهاربين . وسرعان ما توغل جنود المسلمين في المدينة مباشرة ، يقتلون من يقابلهم ، المسنون والنساء والأطفال على حد سواء ؛ وابتسم الحظ لقليل من المواطنين الذين مكثوا في بيوتهم ، فقد أخذوا أحياء ليباعوا رقيقا ، ولكن لم ينج الكثير . وليس بمقدور أحد أن يخبرنا بعدد الذين هلكوا ؛ وفيما بعد حاولت الأنظمة الدينية العسكرية وكذلك بيوتات التجار العظام وضع قوائم بالناجين من افرادها ، غير أن مصير أغلب أفرادها كان مجهولا . وتحدث من سافروا لاحقا إلى الشرق غن مشاهدتهم لبعض أعضاء فرسان المعبد المرتدين عن دينهم يعيشون عيشة حقيرة في القاهرة ، وأخرين يعملون في قطع الأخشاب ناحية البحر الميت . وأطلق سراح بعض الأسرى وأعيدوا إلى أوروبا بعد تسع او عشر سنوات . وقيل إن الرقيق من الفرسان وذرياتهم كان أسيادهم يعاملونهم بشئ من الإحترام . واختفت نسة كثيرات وأطفال إلى الأبد في حريم المماليك وزاد العرض في سوق الرقيق بدمشق زيادة كبيرة ، فانخفض سعر الفتاة إلى

وبحلول ليل ١٨ مايو باتت عكا كلها في قبضة السلطان ، فيما عدا قلعة فرسان المعبد الضخمة ذات النتوء المطل على البحر في النقطة الجنوبية الغربية من المدينسة ، حيث لاذ بها فرسان المعبد الناجون من الموت ومعهم عدد من المواطنين من الجنسين. ولعدة أيام تحدث جدرانها الضخمة الأعداء، والسفن التي أنزلت اللاجئين في قبرص عادت لمساعدتهم. وبعد أسبوع تقريبا عرض الأشرف على مار شال النظام ، بطرس أوف سيفري السماح له بركوب البحر مع كل من كان معه في القلعة بمنقولاتهم إذا استسلموا له ؛ وقبل بطرس الشرط، ودخل أحد الأمراء ومائية مملوك القلعة للإشراف على الترتيبات ، بينما رفرفت راية السلطان على البرج. ولكن هؤلاء المماليك كانوا خارج سيطرة المشرفين عليهم ، فيداوا في إز عاج المسيحيات والأطفال وفي تملكهم ، الأمر الذي أثـار حنق الفريسان فانقضوا على المسلمين وقتلوهم ، وأنزلوا راية الأعداء وتهيـــاوا المقاومة حتى الموت . وعندما هبط الظلام ، أرسل بطرس أوف سيفري خزانة نظام فرسان المعبد مع قائد الفرسان، تيبالد جودين ، مع قليل من غير المقاتلين ، في قارب إلى القلعة في صيدا . وفي اليوم التالي، وعندما رأي الأشرف قوة القلعة وما كانت عليه حاميتها من شجاعة يانسة، عرض نفس الشرط المشرف كما سبق ؛ وخرج بطرس وقليل من رفاقه بمرور أمن لمناقشة الإستسلام . غير أنهم ما أن وصلوا خيمة السلطان جتى حوصروا وقيدوا وضربت أعناقهم على الفور ؟ ولما رأى أفراد الحامية من فوق الأسوار ما حدث أغلقوا البوابة وواصلوا الحرب . غير أنهم لا يستطيعون منع المهندسين المسلمين من الزحف حتى الأسوار وحفر نفق ضخم تحتهم . وفي ٢٨ مايو بدأ جانب القلعة المطل على اليابسة في الإنهيار ، ودفع الأشرف ، الذي خذله صبره ، بالفي مملوك إلى

داخل الفتحة الآخذة في الإنساع. ولم تتحملهم قواعد المبنى التي تزايد ميلها ؛ وبينما كانوا بشقون طريقهم قتالا إلى الداخل انهار الصرح كله وقضى على المدافعين والمهاجمين على السواء بالكم الهائل من الأحجار المنهارة.

_ ۲۹۱م تدمیر عکسا

ما أن اصبحت عكا في يد السلطان حتى أخذ في تدميرها بصورة منتظمة وقد عقد العزم على ألا تعود أبدا كرأس حربة للعدوان المسيحي في سوريا ؛ فنهبت البيوت والأسواق ثم حرّ قت ؛ وهدمت مباني الأنظمة الدينية العسكرية ، وعُطّلت تحصينات الأبراج والقلاع وتركت أسوار المدينة للتفكك . وعندما مر بها الحاج الألماني ليودولف أوف سوشين بعد ذلك بأربعين سنة ، لم يجد سوى بعض الفلاحين التعساء يعيشون بين أطلال ما كان ذات مرة العاصمة الرانعة لمملكة الشرق الفرنجي (أوتريميه) ؛ وما تزال هناك كنيسة أو كنيستين لم تدمر كلية ؛ غير أن المدخل الرائع لكنيسة القديس أندرو قد أخذ لتزيين المسجد الذي بني في القاهرة لتشريف السلطان المنتصر؛ وفي وسط الجدران المتهدمة في كنيسة سانت دومينيك ، لا يزال قبرالراهب الدومينيكي ، جوردان السكسوني ، باقيا لم يمس ، إذ أن المسلمين قد حدقوا فيه و وجوا أن الجثمة لم تفسد (ع)

Enlart, Monuments des Vroises, ii, pp. 9-11; Etienne de Lusignan, (♣) Histoire de Chypre. Fol. 90; Ludolf of Suchem (P.P.T.S. p.61)

 $(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)$

• ٣٩ هـ / ٢٩١ م نهاية مملكة الشرق الفرنجي (أوتريميه)

(۱) صسور

وسرعان ما لقيت المدن الفرنجية المتبقية نفس مصير عكا . فبعد أن أصبح أغلب عكا في قبضة الأشرف ، أرسل يوم ١٩ مايو فرقة جنود كبيرة إلى صور التي كانت أقوي مدن الساحل ، وكانت منيعة أمام أي عدو يفتقد السيطرة على البحر ؛ وفيما مضى تسببت مرتين في إحباط صلاح الدين . وقبل أشهر قليلة كانت الأميرة مرجريت التي تنتمي إليها المدينة ، قد سلتمتها لإبن أخيها ، أخى الملك ، أمالريك . وكانت حاميتها صغيرة ، وما أن اقترب العدو حتى سيطر الهلع على وكيل أمالريك، أدم أوف كارفان، وأبحر هاربا إلى قبرص وتخلى عن المدينة دون قتال. (هـ)

Gestes des Chiprois, p. 254; Sanudo, loc. Cit.; al-Jazari, p. 6; (♠) Abu'l Feda, p. 164

(٢) صيدا

وفى صيدا قرر فرسان المعبد المقاومة . وكان تيبالد جردين حاضرا مع ثروة نظام فرسان المعبد ، وكان الفرسان الباقون على قيد الحياة قد انتخبوه سيدا أعظم ليخلف وليم أوف بوجو . ولقد تتركوا فى هدوء لمدة شهر . ثم جاء جيش مملوكى عرمرم بقيادة الأمير الشجاعى . وكان الفرسان من القلة بحيث لا يستطيعون الإحتفاظ بالمدينة ، لذا انسحبوا مع الكثير من وجهاء المواطنين إلى قلعة البحر التي بنيت على جزيرة صخرية على بعد مائة ياردة من الشاطئ ، تم ترميمها حديثا . وفى الحال أبحر تيبالد إلى قبرص لجمع الجنود لمساعدة القلعة ؛ لكنه بعدما أصبح هناك لم يفعل

شينا، إما لجبنه أو ليأسه وحارب فرسان المعبد الموجودون في القلعة ببسالة ، ولكن عندما بدأ مهندسو المماليك في بناء ممر مرتفع في البحر استيأسوا وأبصروا شمال الساحل إلى طرطوس. وفي ١٤ يولية دخل الشجاعي القلعة وأمر بتدميرها (ه).

Gestes des Chiprois, pp. 256-7Annales des Terre Sainte, (♠) p.460;al-Jazari, p.7; Magrisi, Sultans, II, i, p.131.; Abu'l Feda, loc. Cit.

(٣) بيروت

وبعد أسبوع ظهر الشجاعي أمام بيروت التي كان مواطنوها يعلقون الأمال على أن المعاهدة المعقودة بين السيدة إشيفا والسلطان سوف تحفظهم من الهجوم ؟ وعندما قام الأمير بتوجيه الأمر إلى قادة الحامية بالحضور للإعراب عن احترامهم له انصاعوا للأمر بقلق ، لا الشئ سوى ليجدوا أنفسهم سجناء . ولا تستطيع الحامية أن تفكر في الدفاع في غيبة قادتها . فهرع أفرادها إلى سفنهم وولوا الأدبار حاملين معهم ما في الكندرائية من آثار ، ودخل المماليك المدينة يوم ٣١ يولية . ولقد هدموا أسوارها وتحولت الكتدرائية إلى مسجد . (هـ)

Gestes des Chiprois, pp. 257-8; al-Jazari, loc. Cit; Maqrisi, loc. (♣) Cit.; Abu'l Feda, loc. Cit.

(٤) حيفا

وما لبث السلطان أن احتل حيف بعد ذلك دون مقاومة يوم ٣٠ يوليو ، وحرق رجاله الأديرة على جبل الكرمل وقتلوا رهبانها . وكانت ما تزال هناك قلعتا فرسان المعبد في طرطوس وفي عثليت ؛ ولم يكن في أي منهما الحامية ذات القوة الكفيلة

بمواجهة الحصار ، فصار الجلاء عن طرطوس يوم ٣ أغسطس وعن عثليت يوم ٤ ٢ من نفس الشهر . وكل ما بقى آنذاك افرسان المعبد قلعة جزيرة إرواد على بعد حوالى ميلين من الساحل فى مواجهة طرطوس ؛ وظلوا ماكثين هذاك طوال اثنتى عشرة سنة أخرى ، ولم يجلوا عن الجزيرة إلا فى سنة ١٣٠٣م عندما بدأت الشكوك تحوم حول مستقبل هذا النظام الدينى العسكرى .

(٥) قلعسة السروم

وسار السلطان إلى قلعة الروم بجأش مكين ، وجيش يرهب المشركين ، وجمع من العساكر الشامية والحلبية . وكان نزوله عليها يوم الثلاثاء من جمادي الأخرة سنة الآلات والمجانيق ما لا يُعدّ وأقمنا على ذلك عشرين الآلات والمجانيق ما لا يُعدّ وأقمنا على ذلك عشرين يوما متوالية وفي أثناء ذلك ، واقت طائفة من عسكر التتار إلى جانب الفرات الشرقي . ولما وصلت الطلائع سلاح مقدما وجماعة من الأمراء . قال المصنف: فتوجهنا الي جهة شميصات ركضا ، وأسرعنا إليها نطوي أرضنا فأرضا ، وعدينا الفرات . وكان التتار قد أحموا بوصولنا إليهم ، وهجومنا عليهم ، فانهزموا قبل الدنو منهم ، ولم ندرك سوى آثارهم ومواقد نارهم ، ورجعنا الى البيرة ،

ومنها إلى قلعة الروم، واستمر حصارها إلى أن أخذت في يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ١٩١ه. وأخرج منهما الكيفاغيلوس (يعنب بطريسرك الأرمسن ويسمى الكاثوليكوس أو الجاثليق) ومن كان معه . ورتب السلطان الأمير. علم الدين منجر الشجاعي لعمارتها، وأمر أن لا تُدعى قلعة الروم بل قلعة المسلمين الأشرفية ،

واتقرت في جملة الممالك الإسلامية .

(مختار الأخبار)

(تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية) (حتى سنة ٧٠٧ هـ ، ص ٩٣-٩٣)

(تأليف بيبرس المنصوري ، تحقيق د علبد الحميد صالح حمدان)

(٦) تفريغ الشرق من الصليبيين

وراح جند السلطان لعدة أشهر يجوبون السواحل شمالا وجنوبا ، يدمرون بعناية أي شي قد يفيد الفرنج إذا ما حاولوا النزول على الشاطئ مرة أخري ؛ فراحوا يقطعون أشجار بساتين الفاكهة ، ويفسدون أنظمة الري . والقلاع الوحيدة التي تتركت قائمة هي تلك القلاع البعيدة عن الساحل ، مثل قلعة جبل الحاج في طرابلس ، وقلعة المرقب على جبلها المرتفع . ولقد عم الخراب على طول البحر . وشاهد فلاحو المزارع ، التي كانت ذات مرة غنية بالمزروعات ، مزارعهم وقد د مرت ، فلانوا بالجبال . وسارع من كان من أصل فرنجي إلى الإندماج في العنصر الوطني ، وعمل المسيحيون الوطنيون معاملة أفضل قليلا من العبيد ؛ لقد انقضي ما كان

للإسلام من تسامح كريم ؛ ذلك أن مرارة الحروب الدينية الطويلة نالت من المنتصرين ، فلم يعد لديهم مكان للرحمة إزاء الكفار

ولم تكن جماعة المسيحيين التى هربت إلى قبرص بأفضل حال ؛ فقد عاش جيل حياة بانسة ، حياة اللاجئين غير المرغوبين ، وبمضى المنين تقلص العطف عليهم واستحال إلى تعاطف هزيل ؛ وكانت فاندتهم الوحيدة أنهم كانوا يذكرون القبارصة بالكارثة المروعة ، ولم يكن القبارصة بحاجة إلى مذكر . وطوال القرن التالى كانت سيدات الجزيرة العظيمات ، عندما يخرجن من دورهن ، يرتدين العباءات المسوداوات فتغطيهن من الرأس إلى القدم . لقد كانت علامة الحداد على موت الشرق الفرنجي . (ه)

Steven Runciman, A History of the Crusades, vol. 3, pp. 474-484(♠) منتبفن رانسيمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج ٣ صفحات ٤٨٤-٤٧٤ ترجمة نورالدين خليل

ابتهج الشرق كله بأنباء الإنتصارات بفُتح عكا وما تلاه من الإستنيلاء على الثغور ، وقال بعض الشعراء أبياتا يصف فيها هذا الفتح ويذكر فيها هذا المنح :

وفت شأوا ملوك الأعصر الأول ما لم ينله ملسوك الأرض بالحيل وفيهما حمل ضيم غير محتمل الناس عنها الملوك الصيد في خجل ياوي إليه ولا للدين من أمسل

بلغت في الملك أقصى غاية الأمل ونلت بالحول دون الناس كلهمم فأنت للدين والدنيما صلاحهما لقد فتحت حصونا طالما رجعت أنت الذي لم تدع للكفر من بلمد

أحرزت من فتح عكا كل ماعجزت عقيلة المدن أمست من حصانتها كم قد دعتها ملوك الأرض راغبة حتى دعوت فلبت وهي طائعـــة ما زال غيرك فيها طامعا وعلى قصدتها فأصيبت بعد ما فجعبت صدمتها بجيوش لو صدمت بها فأصبحت بعد عن الملك خاضعة أمست خرابا وأضحى أهلها رمما هدمت ما شيدوا فرقت ما جمعوا وعندما أصبحت قفرا منازلهم رحلت عنها ولكن قد أقمت بها

عنه الملوك بعرم غير منبتل وصونها من ليسالي الدهر في عقبل فلم تجب أحدا" منهم ولم تصل بعد الأناء لأمر منك ممتثل بديك قد كان هذا الفتح في الأزل في أهلها من أسود الغيل بالغيل شم الجبال أزالتها ولم تسزل لذلة الملك طبول الدهر في سمل وسطرتها بيد الأيسام في المثسل نقضت ما أبرموه غير محتفل من السواحل بعد الأهل في عطل من خوف بأسك جيشا غير مرتحل(ه)

(م) التحفة الملوكية في الدولة التركية

تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ ــ ٧١١ هجرية ، ص ١٢٨ لمولفه بيبرس المنصورى، نائب السلطنة في مصر، المتوفى سنة ٧٢٥ هجرية تحوير مالح حمدان .

القصل الرابع

اغتيال الأشرف خليل

... وعَــثرة الرأ ي تـُـر دي (حافظ ابراهيم)

- الأشرف خليــل (الشهيد بن الشهيد)
 - اغتيال الأشرف خليل.
- الأمير حسام الدين طرنطاي ، نانب السلطنة .

_زعيما المؤامرة

الأمير بدر الدين بيدرا (القاهر وهو المقهور)
 حسام الدين لاجين المنصوري (من قتل يقتل)

- مصیر القاتل بدر الدین بیدرا
- _ مصير القاتل حسام الدين لاجين المنصوري .

- الأشرف خليل (الشهيد بن الشهيد)

كان الأشرف خليل قد استهل حكمه بالتخلص من بعص رجال الدولة البارزين، الذين كانت لهم السطوة والنفوذ في عهد أبيه ، والتحكم في زمام تحقيق الأمن بين السكان في كافة أنحاء البلاد

وبتوليه عرش السلطنة سنة ٩٨٦هـ /١٢٩٠م بعد وفاة أبيه المنصور قلاوون، وبما استهل به حكمه من التخلص من بعض البارزين كما تقدم ، كان من الطبيعى أن يعود نفوذ الأمراء ، وتتجدد الصراعات الداخلية ، لكنه استطاع التغلب على هذه المصاعب كلها على الرغم من قصر مدة حكمه للبلاد، ويرهن على أنه حاكم كفء مهيب، شديد الباس، عارف بأحوال المملكة، حتى قال فيه ابن إياس في تاريخه:

> كان الأشرف بطلا لا يكل عن الحروب ليلا ونهارًا، ولا يُعرف من أبناء الملوك من كان يناظره في العزم والشجاعة والإقدام.

ويكفي الأشرف خليل مجدًا يخلد اسمه بين أعظم قادة التاريخ الإسلامي أنه استطاع استعادة عكًا من أيدي الصليبيين سنة ١٩٩٦هـ / ١٣٩٢م ، بعد أن استعصت على من كان قبله من السلاطين لحصائتها، كما تابع جهاده في تتبع جيوش الصليبيين بالشام، واستعاد صوروحيفا وبيروت ، وظل يضيف انتصارات

عظيمة إلى سجل هذه الدولة كان من شأنها أن يظل العالم الإسلامي قويا مترابطا، ويقوم بدوره في البناء الحضاري .

وللدلالة على وطنيت وشجاعته وحرصه على رفعة الإسلام والعروبة نورد فيما يلى بضعة أسطر بعث بها إلى ملك المغول:

رسالة جوابية من السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون إلى ملك المغول كيختوا

أرسل ملك المغول كيختوا إلى الملك الأشرف خليل رسالة يطلب فيها منه أن يعيد له حلب لأنها مما فقعه أبوه هولاكو وهو يريد الإقامة فيها ، وإن رفض السلطان ذلك أخذ منه الشام كله ، فأجابه السلطان بما يلى :

قد وافق القان ما كان في نفسي ، فإني كنت على عزم من أخذ بغداد وقتل رجاله ، فإني أرجو أن أردها دار إسلام كما كانت ، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحب.

(كتاب السلوك للمقريزي ج١،ق ٣-٢٨١)

كان الأشرف يرى أن ليس هناك من خطر عاجل يأتي من قبرص ، وإنما الخطر حتما سوف يأتي من الشرق ، من المغول وتحدثنا كتب التاريخ أن كان هناك بضع أمراء تأمروا على اغتيال الأشرف جاء ذكرهم بالإسم كما سيأتى ذكره ، وإن اختلف المؤرخون حول بعض التفاصيل المتصلة بعملية القتل والتمثيل بجئة الأشرف الشهيد . وقد تقرر الإكتفاء بإيراد ما ذكره المؤرخون عن اثنين من زعماء المؤامرة هما بدرالدين ببدرا وحسام الدين لاجين ، إذ أنهما اقدما على فعلتهما الشنعاء طمعا في السلطنة أكثر من دافع الإنتقام لظلم لحق بهما . وقد أعلن كل منهما عن نفسه سلطانا بصورة متتابعة ، وإن لم يستمر الأول (بيدرا) لأكثر من يوم واحد ، والثاني (لاجين لسنتين) . فهما إذن من الطامعين في السلطنة ، وذلك سقناهما كمثال في أحداث الإغتيال كما سيأتي ذكره .

_ اغتيال الأشرف خليال

خرج السلطان في رحلة صيد ووصل خبر إلى بيدرا وجماعته أن السلطان سبق ياقي الأمراء وليس معه سوى أمير واحد فلحقوا به ضربه بيدرا أولا فلم يقتله فتقدم لاجين قائلا: "يا بيدرا! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته." وضرب السلطان فاسقطه إلى الأرض. وبقيت جثته ملقاة في الصحراء أيامًا إلى أن نقلت إلى القاهرة؛ حيث دفنت بالمدرسة التي أنشأها لنفسه بالقرب من ضريح السيدة نفيسة.

وفي رواية بيبرس المنصوري المعاصر للأحداث :

ومن غد ذلك اليوم ، ركب السلطان إلى الصيد في عدة قليلة من صغار المماليك الخاصكية الذين كان جاندا إليهم ، وعاطفا عليهم ؛ فلاحت لبيدرا الفرصة ، فركب وركب معه من الأمراء حسام الدين لاجين المنصوري ،

وشمس الدين قراسنقر المنصوري ، وقد كان السلطان عزله من نياية المملكة الحلبية وله فيها من حياة والده ، والأمير سيف الدين بهادر رأس نوية ، والطنيغا رأس نوية ، ونوغية السلحدار، واقسنقر الحسامي ، ومحمد خواجا وغيرهم ، وتوجهوا إلى الجهة التي قصدها السلطان على أنهم يتصيدون ، ولم يكن قصدهم إلا عليه وثوب الأسود ، وثاروا عليه كالأراقم السود ، وبادره بيدرا بضرية ، فرده السلطان بزخمة طبل باز فقطع أذنه بجرح سالم ، وتقدم حسام الدين لاجين المنصوري فضربه ضرية قطعت عاتقه ، وأوهت علائقه، وطعنه الناق المنصوري في جوفه بسيفه فسقط صريعا . وكان مقتله المنصوري في جوفه بسيفه فسقط صريعا . وكان مقتله في ثالث عشر المحرم سنة ١٩٩٣ هجرية . (ه)

(م) (مختار الأخبار ، لبيبرس لمنصوري ، ص ٩٥-٩٦)

- الأمير حسام الدين طرنطاي ، نائب السلطنة .

شهد معركة حمص مع السلطان المنصور قالاوون سنة ٢٧٩ هـ ، وكان على رأس ميسرة المسلمين في المعركة . وفي عام ١٨٥ هـ ، عندما كان ناتب السلطنة للسلطان المنصور قلاوون ، جرده السلطان إلى قلعة الكرك حيث نجح في استمالة أولاد الظاهر بيبرس في التسليم ومصاحبته الى القاهرة بعد اعطائهم الأمان . وفي

العام التالى ٦٨٦ هـ حاصار قلعة صهيون التي كان سنقر الأشقر المتمرد قد احتمى بها ، ونجح كذلك في اقناع سنقر الأشقر بالإستسلام للسلطان المنصور قلاوون . وفي العام الذي تلاه ، ٦٨٩ هـ صاحب المنصور قلاوون في حملته على عكا التي مات فيها السلطان وهو في الطريق .

على أن نائب السلطنة حسام الدين طرنطاي كانت بينه وبين كل من : الأمير علم الدين سنجر الشجاعي والأمير بدر الدين بيدرا عداوات قديمة وأحقاد دفينة و شحناء متجددة متقادمة ، لا لشئ إلا لأن طرنطاي نائب السلطنة كان يراقبهما مراقبة دقيقة ، ويحول بينهما وبين سوء المقاصد . فما أن جلس الأشرف على عرش السلطنة إلا وألقى القبض على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في عهد والده قلاوون . وقد سنحت الفرصة للأميرين وأتباعهما حتى أشاروا على الأشرف باعتقال طرنطاي ، فقبض عليه بعد وفاة أبيه بثمانية أيام . وصودرت اموالله وأودعت في الخزائن الملطانية ، ونسبب مماليكه وخيوله وممتلكاته . وولى الأشرف خليل مكانه في نيابة السلطنة الأمير الثاني بدر الدين بيدرا ، وهذا بدوره استوزر شخاصا يسمى شمس الدين محمد بن السلعوس الشامي التاجر ، فبسط يده واسانه وأطلق جبروته في ميدان الأمر والنهي .

على أننا لم نجد فيما كتبه المؤرخون ما يدل على خروج نائب المعلطنة حسام الدين طرنطاي على الطاعة أو اشتراكه في جرم اغتيال الأشرف خليل ، وإنما أوردنا ذلك الجانب من سيرتب المتاح لدينا مما تركه المؤرخون حتى تكتمل الصورة لدي القارئ ، ولعموم الفائدة ولأخذ الموعظة من أن (عثرة الرأي تُسردي).

_ الأمير بدرالدين بيدرا (القاهر وهو المقهور)

كان من صغار أعيان السلطان قلاوون الذي رفعه وولاه الوزارة ونيابة السلطنة ، ثم أصبح بدر الدين نفســه سلطانا ليوم واحد فقـط بعد اغتيال الأشرف .

> وبعد جلوس الأشرف خليل على عرش السلطنة ولي الأمير بدر الدين بيدرا نيابة السلطنة بدلا من حسام الدين طر نطاى . و في خضم تلك العلاقات المعقدة ، و الأحقاد المتجددة ، حدث أن وزير دولية الأشرف، وهو شمس الدين السلعوس ، توجه لتجهيز الإقامات ، فلم يجد في الحو اصبل السلطانية والمعاملات الديو انينة منا يكفي الوظائف التي يُحتاج إليها ، والإقامات التي توجه بسببها ووجد للأمير بدر الدين بيدرا شيئا كثيرا من الحواصل والأموال والغلال بكل إقليم، فصبار يشي به عند السلطان، ويقول له هذه الأقوال حتى إنه أوغر مدره وملأ بالموجدة على المشار إليه قلبه وأنكر السلطان على بيدرا وسبيه ، وصبار ينظهر له الإنكار تارة وينسطنه أخرى وكان بيدرا قد أذكى العيون لرصده ، ورتب أقواما من الخاصكية لسماع ما يقوله في حقه

> وظهر لبيدرا تغير السلطان ، وأسرّه في نفسه ، وشرع في الإتفاق مع الخاصكية على قتله . وكان السلطان عند

عوده من الصعيد قد أمسك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وأعدمه ، وأمسك الأمير ركن الدين طقصوا واعدمه ، وأمسك الأمير حسام الدين لاجين وأودعه الإعتقال ، وأرسل إليه من يخنقه في الجب بوتر ، فلما خنق أزيد وظن أنه مات ، فخلي عنه ، وأراد الله حياته ، وشفع فيه بدر الدين بيدرا ، فأجيب سؤاله ، وأحضره بين يديا في ملإ من الأمراء الأكابر والأصاغر ، وسلتمه لييدرا وقال له : خذ هذا يكون لك مملوكا ، واقتصل به . والمذكور كان أكبر من بيدرا منزلة ، فأثر هذا القول في نفسه ، واتقوا عليه جميعا .

وفى ثالث المحرم سنة ٩٣ هد ، خرج للصيد ، ولما وصل إلى تروجه أعطى الأمراء يستورا ليتوجهوا إلى جهاتهم ، ويتفرقوا فى إقطاعاتهم . وكان الوزير المذكور (شمس الدين بن السلعوس) قد تقدم الى الإسكندرية لتجهيز الإقامات، وتحصيل الأقمشة والإستعمالات والأموال التى يُحتاج اليها برسم الإنعام والإطلاقات (جمع إطلاق وهو قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب) . ووردت كتبه من هذاك بأنه لم يجد بالثغر مالا ولا قماشا بحكم أن نواب يدرا استولوا على المتاجر والإستعمالات ،

فاشتد غضب السلطان ، واحضر بيدرا وشتمه أبلغ شتم . ولما خرج من قدامه علم أنه انكاه ، فأراد أن يتلافاه ، وأرسل إليه ألف دينار ، فلم يفد ذلك العطاء ، ولا استدرك فارط الخطاء . واتفق بيدرا مع الأمراء الذين حوله ، والطائفة التي تسمع قوله (ه)

(ع) (مختار الأخبار ، لبيبرس لمنصوري ، ص ٩٥-٩٦)

ـ حسام الدين لاجين المنصوري (من قبتل يُقتل)

يبدو من روايات المورخين أن السلطان الأشرف خليل بن السلطان قلاوون لم يكن يظهر الاحترام الواجب للأمراء الكبار حتى وصل بهم الأمر إلى قتله ساءت العلاقة ببن الأشرف خليل وحسام الدين لاجين بسبب الوشايات وبسبب غضب السلطان على حميه الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا. قبض السلطان على لاجين وحميه وآخرين وأخرجوا من الجب ليُخنقوا وخنقوا جميعا حتى ماتوا عدا لاجين.

يقول المقريزي عن لاجين في كتاب السلوك :

حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك، فلما خُلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعي، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة

ثانية، بحكم بيع قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غانب ببلاد الأشكري. وعرف حين بيعه بشقير، فربى عند قلاوون وقيل له الجين الصغير، وترقى في خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمَره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك ، و هو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته في النيابة ، وأحبته الرعية لعفته عما في أيديهم ، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق ، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق . ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانيا، ففر من داره بدمشق ، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل ، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بَيدرا ، وأعيد إلى الخدمة على عادته ، واشترك مع بيدرا في قتل الأشرف خليل. ثم اختفى خبره مدة، وتنقل في المدن إلى أن تحدث الأمير زبن الدين كتبغا في أمره ، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين في نيابة السلطنة مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه.....

وتولى خنق لاجين الأمير قراسنقر، فلما وضع الوتر في عنقه انقطع، فقال بيا خوند ما لي ذنب إلا حميي طقصوا وقد هلك ، وأنا أطلق ابنته . وكان قراسنقر له به عناية، فتلطف ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه ، وانتظر أن تقع به شفاعة . فشفع الأمير بدر الدين بيدرا في لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعنى عنه ظنا أنه لا يعيش...

ثم كان أن استعدى وزير الأشرف خليل السلطان على الأمير بدر الدين بيدرا بسبب الكراهية بينهما. اشتد غضب السلطان على بيدرا وسبه بحضرة الأمراء فخاف بيدرا وجمع خشداشيته، ومنهم حسام الدين لاجين، وقرروا قتل السلطان. وقد خرج السلطان في رحلة صيد ووصل خبر إلى بيدرا وجماعته أن السلطان سبق باقي الأمراء وليس معه سوى أمير واحد فلحقوا به. وضربه بيدرا أولا فلم يقتله فتقدم لاجين قائلا: "يا بيدرا! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته."وضرب السلطان فأسقطه إلى الأرض.

تقول بعض الروايات أن لاجين ظل مختبنا بعد ذلك في جامع ابن طولون الذي كان مهجورا في ذلك الوقت وأنه نذر إن قدر الله له أن ينجو ويصل إلى السلطنة أن يصلح هذا الجامع , وبعد ثلاث سنوات ، أي في عام ١٣٩٦ م ، يشاء الله سبحانه وتعالى أن يصل لاجين إلى السلطنة بالفعل ليحكم لمدة سنتين وشهرين.

> وظهر لاجين وقراسنقر واستعانا بأحد أمراء زين الدين كتبغا الذي كان نائب السلطان فتوسط لهما كتبغا فعفا عنهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي كان طفلا في ذلك الوقت . وأصلح كتبغا بينهم وبين باقي الأمراء.

> وقد خلع الأمراء السلطان الناصر محمد بعد ذلك وأقاموا مكانه كتبغا الذي حكم مدة سنتين ولى فيهما لاجين نيابة مصر. وذارت على كتبغا الدوائر، إذ قرر الأمراء التخلص منه وكان أواجم لاجين ولكن كان كتبغا محظوظاً فتمكن من الهرب قبل أن يقتل ووصل إلى دمشق وخلع نفسه من السلطنة هناك. تولى لاجين السلطنة وقرر إرسال السلطان السابق الصغير صاحب الحق بالوراثة والسلطان الناصر محمد بن قلاوون - إلى الكرك.

(﴿) تقي الدين المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك
 الجزء الثاني – بيروت، ١٩٩٧م

_ مصير بدر الدين بيدرا

وأما أمر بيدرا فإنه لما قتل السلطان بايع الأمراء بيدرا بالسلطنة ولقبوه بالملك الأوحد وبات تلك الليلة فإن قتل الأشرف كان بين الظهر والعصر وأصبح ثاني يومه سار بيدرا بالعساكر إلى نحو الديار المصرية وبينما بيدرا سائر بعساكره وإذا بغبار عظيم قد علا وملأ الجو وقرب منه وإذا بالطلب عظيم فيه نحو ألف وخمسمانة فارس من الخاصكية الأشرفية ومعهم الأمير زين الدين كتبغا - وهو الذي تسلطن بعد ذلك بمدة على ما يأتي ذكره - والأمير حسام الدين الأستادار طالبين بيدرًا بدم أستاذهم السلطان الملك الأشرف خليل المذكور وأخذ الثار منه ومن أصحابه وكان ذلك بالطرانة في يوم الأحد أول النهار فما كان غير ساعة إلا والتقوا وكان بيدرا لما رآهم صف من معه من أصحابه للقتال فصدموه الأشرفية صدمة صادقة وحملوا عليه حملة واحدة فرقوا شمله وهرب أكثر من كان معه فحينئذ أحاطوا ببيدرا وقبضوا عليه وحزوا رأسه وقيل: إنهم قطعوا يده قبل أن يحزوا رأسه كما قطعت يد أستاذهم الملك الأشرف يضيرية السيف ولما حزوا رأسه حملوه على رمح وسيروه إلى القاهرة فطافوا به ثم عادوا نحو القاهرة حتى وصلوا بر

الجيزة فلم يمكنهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعي من التعدية إلى بر مصر لأن السلطان الملك الأشرف كان قد تركه في القلعة عند سفره نائب السلطنة بها فلم يلتفتوا إليه وأرادوا التعدية فأمر الشجاعي المراكب والشواني فعدت إلى بر القاهرة وبقي العسكر والأمراء على جانب البحر مقيمين بر القاهرة وبقي العسكر والأمراء على جانب البحر مقيمين العبور حتى يقيموا عوض السلطان أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو صدفير تسكينا لما وقع وإخمادًا للفتنة فأجلسوه على تخت الملك بقلعة الجبل في رابع عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمانة المذكورة وأن يكون نائب السلطنة الأمير زين الدين كتبغا والوزير الأمير علم الدين استاذ الدار أتابك العساكر (ه)

(ه) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

- مصير حسام الدين لاجين

وجاء دور لاجين أن يُـقتل كسابقيه ، إذ تصارع أمراؤه فقتل في يوم أصبح فيه صائمًا. و بعد الإفطار كان يلعب الشطرنج فدخل عليه أحد أمر انه الموثوق بهم وانتهز فرصة قيامه للصلاة فضرب كتفه كما ضرب لاجين الأشرف خليل من قبل ثم أجهز عليه باقي المتآمرين.

_ قالوا في الأشرف خليل

لما قتل الملك الأشرف خليل المذكور بقي ملقى إلى أن خرج والي تروجة من بعد قتله بيومين ومعه أهل تروجة وأخذوه وغسلوه وكفنوه وجعلوه في تابوت في دار الوالي إلى أن سيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري إلى مصرعه فأخذه في تابوت ووصل به إلى القاهرة سحر يوم الخميس ثاني عشرين صفر فدفن في تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون - رحمهما الله تعالى - ورثاه ابن جييب بقصيدة أولها:

. الكامل تنًا لأقوام بمالك رقهـــم

الكامل تبًا لأقوام بمالك رقهم فتكوا وما رقوا لحالمة مترف و افوه غدرًا ثم صالو ا جملمة بالمشرفي على المليك الأشرف

وافي شهيدًا نحو روضات الرضا يختال بين مزهر ومزخرف

وقال النويرى في تاريخه:

كان ملكًا مهيبًا شجاعًا مقدامًا جسورًا جوادًا كريمًا بالمال أنفق على الجيش في هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات:

الأولى في أول جلوسه في السلطنة في مال طرنطاي

والثانية عند توجهه إلى عكا

والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم

انتهى كلام النويري باختصار.

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى في تاريخه:

" وكان قبل ولاية الملك الأشرف يؤخذ عند باب الجابية بدمشق عن كل حمل خمسة دراهم مكمنًا فأول ما تسلطن وردت إلى دمشق مسامحة بإسقاط هذا وبين سطور المرسوم بقلم العلامة بخطه:

لتسقط عن رعايانا هذه الظلامة ويستجلب لنا الدعاء من الخاصة والعامة " انتهى كلام الصفدى.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبى في تاريخه: بعد أن ساق من أحواله قطعة جيدة فقال: " ولو طالت أيامه أو حياته لأخذ العراق وغيرها فإنه كان بطلا شجاعًا مقدامًا مهيبًا عالى الهمة يملأ العين ويرجف القلب رأيته مرات وكان ضخمًا سميلًا كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى.

وكان مخوف السطوة شديد الوطأة قوي البطش تخافه الملوك في أمصارها والوحوش العادية في أجامها ، أباد جماعة من كبار الدولة.

وكان منهمكا في اللذات لا يعبأ بالتحرز لنفسه لفرط شجاعته ولم أحسبه بلغ ثلاثين سنة ولعل الله عز وجل قد عفا عنه وأوجب له الجنة لكثرة جهاده وإنكائه في الكفار "

انتهى كلام الذهبي باختصار.

وكان الأشرف مفرط الشجاعة والإقدام وجمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك قديمًا وحديثًا بلا مدافعة ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق وشهرتهما في ذلك تغني عن الإطناب في ذكرهما. (هـ)

(ه) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

 $(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)(\clubsuit)$

القصل الخامس

عكا بعد الأشرف خليل

_ ۷۰۰ سنة مباركــة

_ أحمد باشا الجزار

_ نابوليون بونابرت

_ عكا في القرن التاسع عشر

_ ۷۰۰ سنة مباركــة

ظلت عكا بعد تحريرها من الصليبيين عام ١٢٩١م في عيشة ناعمة هانئة راضية ، لا يعكر صفو سكانها صرخات الحرب أو نواعق القتال ، وازدهرت فيها التجارة ، ونشطت من حولها الأعمال والأموال ، ولم يخش تجار دمشق ولا باقي المدن الداخلية تحكم أحد من أعدائها في الميناء . حتى عندما احتلها العثمانيون ، لم يسمع منادي الحرب ولا داعى القتال .

لم تكن عكا فقط هي التي كانت ناعمة في سلامها الحقيقي ، وإنما الشرق كله بعد أن تحرر من الصليبيين على اختلاف أصولهم ونحسلهم . فلا جيوش تتجمع في قبرص للهجوم على المدن الإسلامية ، ولا أساطيل تمخر عباب البحار لتعزيز العدوان ونشر الخراب وإسالة الدماء البريئة الزكية .

وكان ذلك شأن المسيحيين الوطنيين أيضا ، فهم أتباع العقيدة الأرثوذوكسية الذين لاقوا صنوف الإضطهاد على يد الصليبيين الأوروبيين أصحاب الكنيسة اللاتينية من أتباع العقيدة الكاثوليكية .

نحوا من سبعة قرون لم تطأ بلاد الشرق قدم صليبية مسيحية للعدوان ، إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الإمبر الطورية العثمانية عام ١٩١٧م، وإلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٦م، ونزول القوات البريطانية والفرنسية أرض الإسلام مرة أخرى باحتلال فرنسا لسوريا ولبنان ، واحتلال انجلترا لمصر والعراق

وفرض انتداب على فلسطين ، بعد أن طردهم الأشرف خليل من ما يقرب من سبعمائة سنة .

وتنقسم الفترة المملوكية في واقع الأمر إلى فترتين رئيسيتين ، متعارضتين تعارضا بيـنـنا :

♣ الفترة الأولى: فترة الازدهار، وتمتد الفترة الأولى من ظهور المماليك على مسرح الأحداث عام ١٢٥٠م، عندما حكم أول المماليك (شجرة الدر) وتنتهي عام ١٧٥م عندما انتصر السلطان العثماني سليم الأول على آخر سلاطين المماليك طومان باى الثاني . أي ما يقرب من خمسمانة سنة .

ب الفترة الثانية: فترة الإضمحلال، التي تمتد من عام ١٥١٧م سنة الغزو العثماني وحتى عام ١٥١٧م عندما قضى محمد على باشا على المماليك نهائيا بالقضاء عليهم فيما يشتهر في التاريخ باسم المذبحة القلعة! أي ما يقرب من ثلاثمائة سنة.

وإذن ، انتهت الحقبة المماليك الموثرة سنة ١٥١٧م بانتصار السلطان سليم الأول العثماني على آخر المماليك البرجية طومان باي ، كما تقدم . وقد حكم العثمانيون البلاد من عام ١٥١٧ حتى ١٩١٨، أي مدة ٤٠١ سنة، استعادت عكا خلالها مكانتها وتطورت وازدهرت في أيام الزعيمين ضاهر العمر وأحمد باشا الجزار.

كان طاهر العمر أمير الجليل في الفترة ١٧٤٥ – ١٧٧٦، وقد بنى سورًا حول المدينة من الجهة الشرقية لحمايتها من أي هجوم برّي، كما بنى قلعة في الشمال الغربي من المدينة والتي أصبحت لاحقًا مسجنًا في ايام العثمانيين والأنتداب البريطاني. وتم بناء مسجدين وحصل اليهود على مبنى ليصبح كنيسًا لهم. كما رمم ضاهر العمرالخانات وشيد سوقا تجارية في مركز المدينة وأعاد ترميم ميناء عكا وحصن أسوارها الغربية ونتيجة لكل ذلك ازدهرت المدينة اقتصاديا مرة أخرى.

_ أحمد باشا الجزار

ولد أحمد باشا الجزار في البوسنة وتعلم في مصر وهو مسلم متدين وعسكري، أطلق عليه اسم الجزار بسبب قسوته. وفي عام ١٧٧٦ م أصبح حاكم عكا وعُين واليًا على صيدا كما عُين لاحقًا واليًا على دمشق.

واصل الجزار العمران الذي بدأه سلفه بقوة أكبر. فقد بنى جامع الجزار. وهو يعتبر أجمل جامع في البلاد بعد قبة الصخرة في القدس. كما بنى خان العمدان والجامع التركي وأقام مساجد وخانات أخرى وحصن أسوار المدينة.

ــ نابوليون بونابرت

يفاجئنا التاريخ بين الحين والأخر برجال بتركون بصماتهم الدامية على الإنسانية وعلى كثير من الأماكن في هذه الأرض التي نعيش عليها. وما أنشطتهم الدامية تلك إلا انعكاسا لأوهام وخيالات في أذهاتهم ، ما أن تغادر الذهن إلى الواقع ، إلا وتلقى بهم في حضيض سحيق من الدماء والخراب والدمار . أما الفلاسفة وأهل الفكر ، فنادرا ما يخرجون بافكارهم إلى ميادين القتال ، وربما يحدث أن يجد البعض منهم عونا من زعيم كبير أو أمير من الأمراء معن تتوفر لهم القدرة على فرض تلك

الأفكار بالقوة . وأغلب من ينطلقون إلى الحرب ، وقد أسروا الجموع بحماس خطبهم أو أحاديثهم ، ينتهى بهم الأمر الى لاشئ وإن طال بهم ويذريتهم الزمان .

ومن بين هؤلاء المخدوعين بأفكار العظمة والسيطرة والسطوة نـابوليون بونابرت ، الذي سحب فرنسا وراءه في حروب طاحنة خلفت أوروبا وأماكن كثيرة ممزقة ، بل انطلق بجيوشه الى موسكو حيث هزمته الثلوج ، وعاد بخفي حنين

وقى شهر مايو ١٧٩٨م أبحر بجيش من جيوشه إلى مصر ، انقيادا وراء فكرة غزو الإمبراطورية العثمانية التى كانت أنذاك تسيطر وتهيمن على مصر وأغلب البلدان العربية . ولقد فشلت حملته على مصر فشلا ذريعا بهزيمة الأسطول الفرنسي في معركة أبى قير البحرية التى غلب فيها امير البحر الإنجليزي هوراسيو نياسون Horatio Nelson في أول أغسطس سنة ١٧٩٨م .

وفى العمام التالى ١٧٩٩م فشل حصاره الذي ضربه على مدينة عكا . والمشهور عنه أنه رمى قبعته على أسوار عكا قائلا : أنستني عكا عظمتي !

ولقد أشتهر الجزار بفضل صمود جيشه في وجه حصار نابليون للمدينة عام ١٧٩٩ وقد نجح في مواجهة جيش نابليون بفضل مساعدة البريطانيين، وكان له الفضل في تشجيع المحاصرين على محاربة الفرنسيين وبادر الى شن غارات خارج الأسوار والحق إصابات بالفرنسيين وأضر بالروح القتالية لديهم، وفي اعقاب انسحاب نابليون أصبح الجزار الحاكم المركزي لشمال فلسطين وسوريا أيضاً.

_ عكا في القرن التاسع عشر

وخلال القرن التاسع عشر توالى على عكا عدة حكام، حكمها سليمان باشا الذي خلف الجزار بين ١٨٠٥ – ١٨١٨م، وعبد الله باشا بعده. وبين الاعوام ١٨٣١ ما ١٨٤٠ احتل المنطقة محمد على باشا والي مصر، ولم تصمد أسوار عكا أمام جيش ابنه الراهيم. وقد نجح البريطانيون عام ١٨٤١ في طرد محمد على من عكا الى مصر واعادة عكا الى سلطة العثمانيين. تميزت هذه الفترة بتدخل استيطاني من جانب الدول الأوروبية الكبرى وقدوم أوروبيون الى المنطقة بهدف التجارة وزيارة الإماكن المقدسة والبحث عن المغامرات، سكن المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حوالي ١٥ اللف نسمه، غالبيتهم من المسلمين وأقليتهم من المسيحيين اليهود. وبخلاف المناطق الأخرى لم تشهد عكا ازديادًا كبيرًا في عدد السكان، فقد النعفضت التجارة ولحقت بالمدينة أضرارًا كبيرة بعد طرد محمد على باشا منها في انخفضت التجارة ولحقت بالمدينة أضرارًا كبيرة بعد طرد محمد على باشا منها في حينه حيث منع الحكام الأتراك سكان المدينة من توسيعها خارج الاسوار واعتبرها الحكم العثماني كنزًا استر اتيجيًا ولذلك حصن أسوارها ولكن لم يطورها اقتصاديًا.

(♣)(♣)(♣)(♣)(♣)



Great Mosque of al-Jazz<u>a</u>r, built in 1781, 'Akka, Occupied Palestine مسجد الجزار الكبير

بسني ١٧٨١م ، عكا ، فلسطين المحتلة



ئابليون بوئابرت عجز عن فتح عكا رمى بقبعته فوق سورها قائلًا لقد أنستنى عكا عظمتى



Napoleon: Acre made me forget my grandeur نابلیون: لقد أنستنی عکا عظمتی

- عِكِا في القرن العشرين

_ فترة الانتداب البريطاني

أحدثت سلطات الانتداب نموا وازدهارا متجددا في عكا، وطورت المدينة. صحيح أن حيفا احتلت مكان الصدارة بحريًا ولكن ميناء عكاظل يعمل وإن يكن على نطاق أضيق. ومع ذلك فقد ارتفع عدد سكان المدينة من ٦ آلاف نسمة عام ١٩٢٠ الى حوالي ١٣ الف

شهدت سنوات العشرينيات والثلاثينيات ترك اليهود عكا وانتقالهم الى حيفا بسبب تطور الاخيرة. وبدأ الفلسطينيون ينظمون نفسهم سياسيًا. كان الشيخ أسعد الشقيري احد الشخصيات الفاعلة في الجانب الفلسطيني في عكا، وكان حتى سنوات الثلاثينيات مقربًا من عائلة النشاشيبي التي كان لها تأثير في شمال البلاد، ومن الممكن أن يكون ابنه الدكتور أنور الشقيري قد قتل بسبب ذلك على أيدي مؤيدي الصينيين.

في عام ١٩٣٠ أقيم الحزب الليبرالي ومن بين قادته توفيق العكي، كما عمل في عكا أيضاً حزب الاستقلال الذي شكل طرقا في قيادة الانتفاضة الأولى – الثورة العربية في السنوات ١٩٣٦ – ١٩٣٦. الكثيرون من سكان عكا المسلمون شاركوا في الاضراب الكبير الذي نظمته اللجنة العربية العليا، عقدت في المدينة مؤتمرات وجرت مظاهرات وعمليات مقاومة ضد الجيش البريطاني والمستعمرات اليهودية في الجليل الغربي.

كان وضع مدينة عكا غامضاً في أواخر أيام الانتداب البريطاني في فلسطين. سكن المدينة حوالي ١٤ الف نمسة. وحسب قرار التقسيم رقم ١٨١ الصادر عن الأمم المتحدة في تشرين ثاني ١٩٤٧ فإن عكا كانت من تصيب الدولة العربية، مثلها في ذلك مثل بقية الجليل الغربي. ولم يشارك سكان عكا في الحرب التي اندلعت بعد قرار التقسيم، ورفضوا التعاون مع فوزي القاوقجي، قائد جيش الانقاذ الذي قدم الى قاسطين من لبنان. وحسب ما يذكر المؤرخ العكي، فايز الكردي، في كتابه "عكا بين الماضي والحاضر" فإن القيادة المحلية شهدت الهدوء والسكينة، المدينة لم تُحصن ولم توفير المسلاح للمقاتلين وذلك لأنه كان من المعروف أن تكون عكا ضمن الدولة العربية. لقد نشطت في المدينة "اجنة قومية" عملت على تزويد المواطنين بالغذاء والوقود وتوفير الإمن لهم، وكان من المفروض ان تتولى اللجنة صلاحيات ادارة المدينة مع مغادرة البريطانيين لها، هذه اللجنة لم تفسح بموطئ قدم داخل المدينة المعربية المنظمة مثل "النجادة" و "الفتوة" وهي منظمات شبه عسكرية مرتبطة بالهيئة العربية العيايا.

소소소소

القصل السادس

الإرهاب



_ ف*ي* عكا

_ منظمة إيرجون زيفاتي الإرهابية

_ إرهابيون

دافید بنجوریون
 ا و ترفید بنجوریون

_ اسحق شامیر (یازیرنیکي)

_ مِناحم بيجين

- أرييل شسارون

_ منظمة إيرجون زيفاني الإرهابية

Irgun Zeva'i Le'umi "The National Military Organization" (Etzel, I.Z.L.) منظمة إيرجون زيفائي ليؤومي (إيتزيل) المنظمة الوطنية العسكرية

منظمة سرية يهودية مسلحة أسسها عام ١٩٣١م مجموعة من قادة الهجانة Haganah (منظمة سربة عسكرية أخري في أرض اسرائيل Haganah (منظمة سربة عسكرية أخري في أرض اسرائيل Haganah ميثاق استمرت من ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨م). وانشق قادتها على الهجانة احتجاجا على ميثاق الدفاع الخاص بها. وفي ابريل ١٩٣٧م، وأثناء إضطراب البلدان العربية، انقسمت المنظمة الى قسمين ، عاد حوالي نصف أعضائها إلى الهجانة ، والنصف الأخر شكل منظمة إيرجون زيفائي ليؤومي (واختصارها إيتزيل Etzel)، وهي المنظمة التي كانت من الناحية الأيديولوجية متصلة بحركة إعادة التقييم وقبلت سلطة قاندها فلادمعر بابو تبنسكي Vladimir Jabotinsky.

وأنكرت منظمة إيرجون ما كانت تسير عليها الهجانة سياسة "التهدئة"، وقامت بهجمات مسلحة ضد العرب أدانتها الوكالة اليهودية ؛ واعتقلت السلطات البريطانية الكثير من أعضائها ، وشئنق أحد أعضائها (شلوم بن يوسف) لإطلاقه الرصاص على حافلة عربية . وبعد نشر الورقة البيضاء في شهر مايو ١٩٣٩م، قامت منظمة إيرجون بتوجيه أنشطتها ضد سلطات الإنتداب البريطاني .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية أعلنت المنظمة عن هدنة أدت إلى الإنقسام الثانى ، والتحق أعضاء من المنظمة بوحدات الجيش البريطانى الفلمطينية ، وفيما بعد الفيلق اليهودي .

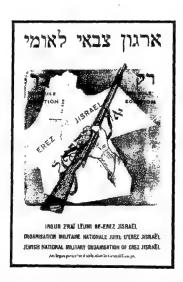
ومن عام ١٩٤٣م، ترأس مناحم بيجين منظمة إيرجون زفائي ليؤومي التى أعلنت في العام التالى ١٩٤٤م الحرب على الإدارة البريطانية ؛ فكانت تهاجم وتنسف المكاتب الحكومية والمنشأت العسكرية ونقاط الشرطة . وتحركت الوكالة اليهودية ومعها الهجانة ضد منظمة إيرجون ، وبعد تفككها عام ١٩٤٦م واصلت مهاجمة الأهداف الحكومية والعسكرية البريطانية .

وفى ابريل ١٩٤٧م شنق أربعة أعضاء من المنظمة فى سجن عكا. وفى شهر مابو ١٩٤٧م هاجمت القلعة فى عكا وحررت ٤١ سجينا. وفى يوليو ١٩٤٧م وبعد شنق ثلاثة أعضاء آخرين من المنظمة ، قامت بشنق جاويشين بريطانيين. وفى شهر سبتمبر ١٩٤٨م اندمجت المنظمة فى جيش الدولة اليهودية الجديدة.









Irgun poster showing their view of the Land of Israel لافتـــة منظمة إيرجون الإرهابية تصور نظرهم لأرض إسرائيل



David Ben-Gurion

(Polish born (1886-1973) was Prime Minister of Israel 1948-53, 1955-63) Chief architect of the state of Israel and revered as Father of the Nation. □We must use terror, assassination, intimidation, land conflecation, and the cutting of all social services to rid the Gaillee of its Arab population.□

population. I "Let us not Ignore the truth among ourselves ... politically we are the aggressors and they (The Palestinians) defend themselves... The country is theirs, because they inhabit it, whereas we want to come

here and settle down, and in their view we want to take away from them their country

دافيد بنجوريون :



Yitzhak Shamir (Jazernicki)

(Polish born (1915 -) was Prime Minister of Israel 1983-84, 1986-92) Shamir was a member of two militant Jewish underground organizations which were active gained before Israel its independence in 1948: first, the Irgun Zva'i Leumi (known as the "Irgun" or "organization") and later. the Lohamei Herut Israel ("Lehi." also known as the Stern Gang).

"The Palestinians would crushed like grasshoppers ... heads smashed against the boulders and walls." - in a speech to Jewish settlers - New York

Times 1 April 1988

اسحق شامیر (یازیرنیکي)

(بولندی المولد فی ۱۹۱۰ ــ) کان رئيس ورزاء اسرائيل (۱۹۸۳ ــ ۱۹۸۴ م) و (1997 - 1947)

كان شامير عضوا في منظمتين سريتين يهو ديتين كانتا تعملان بنشاط قبل قيام دولة اسر أثيل في سنة ١٩٤٨م: الأولى هي منظمة إرجون زفائي لينومي (المعروفة باسم "إريجون" أو "المنظمة") وفيما بعد كان عضوا في منظمة أيهومي هيروت اسرائيل ("ليهي Lehi" كما تعرف أيضا باسم عصابة شتيرن).

ال... سوف يُستَّمَق الفلسطينيون مثل حشرات الجراد ، فتتحطم رؤوسهم بين صخور الجلمو د و الحو انط "

في كلمة ألقاها لمستوطنين يهود جريدة نيويورك تايمز بتارخ ١ ابريل ١٩٨٨م المصدر: The Official Website of Representative David Duke, PhD



Mehachem Begin

(Russian bortn (1913-1992) was Prime Minister of Israel 1977 – 1983)

"The Partition of Palestine is illegal. It will never be recognized ... Jerusalem was and will for ever be our (The Jews) capital. Eretz Israel (the biblical term "Land of Israel" between the Mediterranean sea and the river Jordon) will

be restored to the people of Israel. All of it. And for Ever." – the day after the UN vote to partition Palestine.

مناحم بيجين

روسى المولد (١٩١٣ – ١٩٩٢) كان رئيس وزراء اسرائيل ١٩٧٧ – ١٩٨٣م "إن تقسيم فلسطين غير قانونى . ولن يعترف به أبدا ... أورشليم كانت وستكون إلى الأبد عاصمتنــا (اليهود) . إن إريتس إسرائيل (المصطلح التوراتى "أرض اسرائيل" الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن ، سوف تبقى لشعب اسرائيل . كلها ، ولملابد ." ...

فى اليوم التالى لتصويت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين .

إرهابــــيون

مناحم بيجين : مطلوب القبض عليه



كان مناحم بيجين زعيم عصابة "إيرجون زفائي ليهومي" اليهودية الإرهابية التى نسفت القيادة العليا البريطانية في القدس عام ١٩٤٦م فقتلت ٩١ شخصا من بينهم ١٥ يهوديا ...



Anwar Sadat & Mehachem Begin
The Nobel Peace Prize 1978

For Terrorism مناحم بيجين وأنور السلاات جائزة نوبل للسلام ١٩٧٨ وللإرهاب





Blood-Thirsty Criminal **Ariel Sharon**

The (Israeli) Minister of defense on the time of Sabra & Shatila massacre and the instigator and the planner to the bloody massacre... He became the Zionit Prime Minister as he was

elected after profaining Al-Aqsa Mosque on September, 2000 while he was the leader of the Likud.

مجرم متعطش للدماء ــ أرييل شارون

وزير النفاع (الإمدرائيلي) وقت منبحة سميرا وشاتيلا المحرّ ض عليها ومخطط المنبحة الدمويسة ... أصبح صهيونيا رئيسا الوزراء بانتخابه بعد أن دنس المسجد الاقصى ي سبتمبر ٢٠٠٠م بينما كان زعيما للبكود .



Ariel Sharon (Palestine born (1928-) was Prime Minister of Israel 2001-2006)
"Even if it means blowing up one or two synagogues here and there, I don't care...
What you don't seem to understand is that the dirty work of Zionism is not finished yet, far from it.

(ولد بفلسطين عام ١٩٢٨ م ، كان رئيس وزراء (سرائيل ٢٠٠١-٢٠٠١م) "حتى لو استدعى الأمر نسف كنيس يهودي أو الثنين هنا وهناك ، لا يهم ... وما يبدو أنك لم تفهمـه هو أن عمل الصهيونية القذر لم ينته بعد ، لمامه شأوا طويلا قبل أن ينتهى .

أرييل شارون

_ إرهابـــيون

Ariel Sharon, in his own words:

إيرييل شارون من أقواله

🕭 I don't know something called International Principles لا أعد ف شيئيا يتيمي المهادئ الدو أيسة

We have the right to demand anything we like from the world. As Jews we do not owe anything to anybody, while the rest of the world owes us a great deal.

لنا الحق في أن نطلب أي شئ نريده من العالم . ونحن اليهود لسنا مدينين بأي شئ لأي لحد، بينما باقي العالم مدين لنا بالشيئ الكثير .

- 🏂 vow that I'll burn every Palestinian child will be born in this area. أتعهد بأن أحرق كل طفل فلمبطيني يو لد في هذه المنطقة .
- ♣ With One hit I have killed 750 Palestinian (in Rafah 1956)
 بضربة واحدة قتلت ٥٠٠ فلسطينيا (في رفح عام ١٩٥٦م).
- ♣ The Palestinian woman and child is more dangerous than the man, because the Palestinian child existence refers that generations will go on, but the man causes limited danger.

إن المرأة والطفل الفلسطيندين أكثر خطرا من الرجل، لأن بقاء الطفل الفلسطيني بعمل أن أجيالا سوف تستمر، أما الرجل فيشكل خطرا محدودا



كانت منظمة ايرجون أكثر الجماعات الإرهابية الصهيونية شهــرة ، وهى التي قــدّر لزعيمها مناحم بيجين أن يصبح يوما ما رئيســا لوزراء إسرانيل !

وفا صباح ٢ ٧ يوليو ١٩٤٦ ام قام إرهابيو إيرجون بارتداء ملابس عربية ودخلوا فندى الملك داود في القدس ، وأفر غوا ٢٢٥ كيلوجراما من المتفجرات التي كانت مخبأة في حاويات للألبان . وكان فندق الملك داود يستضيف أمانسة حكومة فلسطين والمقر الرئيسي للقوات البريطانية في فلسطين . وارتباب ضابط بريطاني في الإرهابيين وعلى الفور أطلقت النيران ، وأشعل إرهابيو منظمة إيرجون أطراف الفتائل وهربوا . ودمر الانفجار جزء من الفندق وقتل ٩١ شخصا . وكان اغلب الصحايا من البريطانيين ، وقتل أيضا ٥٠ يهوديا برينا ، مما يؤكد أن الصمهاينة الأصوليين على استعداد لأن يقتلوا حتى رفاقهم اليهود من أجل قضيتهم .

.....

وكان البريطانيون عاملا أساسيا في مساعدة اليهود الصهاينة على إنشاء وطن قومي في فلسطين ، بيد أن التقدم كان بطينا جدا كما كان يراه مناحم بيجين ، المهاجر الروسي الذي كان سيصبح رئيسا لوزراء اسرائيل ، فما كان منه إلا أن نسف ببساطة مقر القوات البريطانية في فلسطين وأمانة حكومة فلسطين فقتل ٩١ شخصا برينا دون تفكير . وقد تسبب هذا العمل الشرير في أن جعل من مناحم بيجين بطلا في أعين اليهود الصهاينة !!! ولم تكن تلك حادثة منفصلة ارتكبها أناس لا جدال في قسوتهم واستهتارهم ، يفعلون أي شئ كي يدفعوا بقضيتهم إلى الأمام .

والوسيلة الحديثة المفضلة لدى منظمتي إيرجون وشتيرن الإرهابيتين هى خطف الجنود البريطانيين وتعذيبهم بصورة بطيئة حتى الموت. كما أن إسر ائيل هى أول أمة تستخدم التقنية العصرية الإرهابية المعروفة باسم الخطاب القنبلة ، وعلى مدى سنوات أرسلت منها المنات فقتلت عشرات من أعدانها والكثير من الأبرياء العابرين في كافة نحاء العالم. وحاليا يعتبر إرهاب إرسال الخطابات الحاملة لمرض الجمرة الذي يصيب الماشية ما هو ببساطة سوى أخ منطقى غير شقيق للخطاب القنبلة.

"The most notorious of the Zionist terror groups was the Irgun, whose leader Menachem Begin would one day go on to become Prime Minister of Israel! On the morning of July 22, 1946. Iggun terrorists dressed as Arabs (sound familiar) entered the King David Hotel in Jerusalem. They unloaded 225 kilograms of explosives hidden in milk churns. The King David Hotel housed the Secretariat of the Government of Palestine and Headquarters of the British Forces in Palestine. When a British officer became suspicious, a shootout took place and the Irgun lit the fuses and fled. The explosion destroyed part of the hotel and killed 91 people. Most of the victims were British but 15 Innocent jegg also died, proving that radical Zionists are capable of even killing fellow jegg in order to advance their cause."

The British were instrumental in helping the Zionist Jews set up a homeland in Palestine but progress was too slow for Russian migrant and fluture prime minister of Israel Menachem Begin so he just blew up the Headquarters of the British Forces in Palestine and the Secretariat of the Government of Palestine killing 91 innocent people without a thought. This evil deed made Begin a hero in the eyes of the Zionist Jews!!! That was not an isolated incident by proven ruthless uncaring people who will do arrything to fluther their cause.

A favorite tactic of the Irgun and Stern terrorist gangs was to kidnap British soldiers and slowly torture them to death. Israel was also the first nation to employ the modern tetrorist technique of the letter bomb, and over the years sent our hundreds of them, killing dozens of their enemies and many by standers all over the world. The current terrorism of mailing anthrax infected letters is simply a logical stepchild of the letter bomb.

**SIWWAKE UP WORLD!!!!

المرفقات

- المرفق (١) قائمة بسلاطين المماليك البحرية
- المرفق (٢) قائمة بسلاطين المماليك البرجية
 - المرفق (٣) قائمة بالحملات الصليبية
- المرفق (٤) كلمة البابا إيربان الثاني التي أشعلت الحملات الصليبية
 - المرفق (٥) المراجع العربية والأجنبية.

المرفق (١) قائمة بسلاطين المماليك البحرية

فترة السلطنة	سلاطين المماليك البحرية
٠١٢٥٠	٠١ - شجرة الدر (سلطانة)
-170Y -170 ·	٠٠٢ أيبك (المعز عزالدين)
Y071- P071a	٠٠٣ على بن أيبك (المنصور نورالدين)
1771709	٤ ٠ - قطز (المظفر سيف الدين)
+ 171- YYY 14	٠٥- بيبرس الأول البندقداري (الْظاهرركن الدين)
YYY1- PYY13	 ٣٠- بركة خان (السعيد بن الظاهر بيبرس)
PYY13	٧٠- سلامش (العادل بدر الدين بن الظاهر بيبرس)
- ۱۲۹۰ - ۱۲۷۹	٠٨- قلاوون (المنصور سيف الدين)
-1797-179.	٩ خليل (الأشرف صلاح الدين بن قلاوون)
7971-39719	٠١- الناصر محمد (بن قلاوون)
3971- 79719	١١- العادل كتبغا (العادل زين الدين)
7971- 99719	١٢- المنصور لاجين (المنصور حسام الدين لاجين)
١٣٠٩ - ١٣٩٩م	الناصر محمد بن قلاوون (مرة ثانية)
٩٠٣١ ١٣١٩	١٣- بيبرس الثاني الجاشكير (المظفرركن الدين)
۱۳۱۰ ۱۳۱۱م	الناصر محمد بن قلاوون (مرة ثالثة)
١٤٢١م	٤١- أبوبكر بن الناصر محمد (المنصورسيف الدين)
۱۳٤١ - ۲۶۳۱م	١٥- كوجك بن الناصر محمد (الأشرف علاء الدين)
١٣٤٢م	١٦- أحمد بن الناصر محمد (الناصر شهاب الدين)
٢٤٦١- ١٣٤٧م	١٧- إسماعيل بن الناصر محمد (الصالح عماد الدين)
-1757-1750	١٨- شعبان الأول بن الناصر محمد (الكامل سيف الدين)
7371- V371A	٩ ١- حاجى الأول بن الناصر محمد
4321-10214	٠٠- الحسن بن الناصر محمد (الناصر)
1071-30712	٢١- صالح بن الناصر محمد (الصالح صلاح الدين)
3,071-17712	الحسن بن الناصر محمد(الناصر) (مرة ثانية)
1771-7771	٢٢- محمد بن حاجي (المنصور صلاح الدين)
ייייייי איייייי איייייי	٢٣- شعبان الثاني (الأشرف ناصر الدين)
۱۳۷۷ - ۱۳۸۱م	٢٤- على بن شعبان (المنصور علاء الدين)
١٨٣١- ٢٨٦٢م	٢٥- حاجــى الثانـى (الصالح صلاح الدين)

المرفق (٢) قائمة بسلاطين المماليك البرجية

فترة السلطنة	سلاطين المماليك البرجية
YATI- APTIS	٢٦- برقوق (الظاهر سيف الدين)
١٤٠٥ - ١٣٩٨	٢٧- فرج بن بُرقوق (الناصر)
٥٠٤١م .	٢٨- عبد العزيز بن برقوق
٥٠٤١٢-١٤١٩م	فرج بن برقوق (مرة ثانيـة)
٢١٤١- ١٢١١م	٢٩- الشيخ المحمودي (المؤيد أبو النصر)
١٢١م	٣٠- أحمد بن شيخ (المظفر)
17319	٣١- الظاهر طبطر
۲۲۱ - ۲۲۲ ام	٣٢- محمد بن ططر (الصالح)
۲۲۶۱- ۲۳۶۱م	٣٣- برسباى (الأشرف سيف الدين)
۱٤٣٨م	٣٤- يوسف بن برسباي (العزيز جمال الدين)
7731-70319	٣٥- جفمق (الظاهر سيف الدين)
70319	٣٦- عثمان بن جقمق (المنصور فخر الدين)
٣٥٤١- ١٤٥٣	٣٧- إينال العلاني (الأشرف سيف الدين)
٠٣٤١- ٢٣١١م	٣٨- أحمد بن إينال (المؤيد شهاب الدين)
١٤٤١- ٢٢٤١م	٣٩- خشقدم (الظاهر سيف الدين)
٧٢٤١ - ٨٢٤١م	٠ ٤- بلباي المؤيدى (الظاهر سيف الدين)
٨٢٤ ام	١٤- تمريف (الظاهر)
1731-09319	٢٢- قايتباي (الأشرف سيف الدين)
90 1 1 - 193 ام	٤٣- محمد بن قايتباي (الناصر)
۱۶۹۷م	٤٤- قانصوه (الظاهر)
٩٧٤١ - ٩٩٤١م	محمد بن قایتبای (ثانی مرة)
١٩٨١ - ٠ ٠ ٥ ١م	٥٥- قانصوه (الأشرفي)
٠٠٠١- ١٠٠١م	٢٤- جنبلاط (الأشرِف)
ا ۱ ت ا م	٤٧- طومان باي الأولـ (العادل)
1001-11019	٤٨- قانصـوه الغورى
1014	٩٤- طومان باي الثانسي (الأشرف)

المرفق (٣) قائمة بالحملات الصليبية المرفق (٣) قائمة بالحملات الصليبية الحملات الصليبية تواريخها وأسماؤها ونتائجها

النتائــــــج	التاريخ إسم الحملة الصليبية
دمرها الأتراك في أسيا الصغرى	١٠٩٦م حملة الشعب
مذابح اليهود. دمرها المجريون	١٠٩٦م ٣ حملات صليبية المانية .
إمارة الرها ومملكة القدس	١٠٩٦م الحملة الصليبة الأولى
دمرها قلج أرسلان	١١٠٠م الحملة اللوميار ديـــة
دمرها قلج ارسلان وملك غازى	١١٠١ مالحملة النفرسيــــة
دمرها قلج أرسلان وملك غازى	١١٠١ مالحملة الأكيتانية
حصار دمشق	١١٤٧م الحملة الصليبية الثانية
حتلال قبرص وعكا	١١٨٩م الحملة الصليبية الثالثة
نهب القسطنطينية وإنشاء كنيسة	١٢٠١م الحملة الصليبية الرابعة
وامبراطوريةلاتينيةفي القسطنطينية	الضالة (ضد المسيحيين).
استعادة الصليب	١٢١٧م الحملة الصليبية الخامسة
استعادة أورشليم سلميا	١٢٢٨م الحملة الصليبية السادسة
أسر لويس التاسع في المنصورة	١٢٤٨م الحملة الصليبية السابعة
موت لويس التاسع أمام تونس	١٢٧٠م الحملة الصليبية الثامنة

مرفق رقم (٤) خطاب البابا إيربان الثانى في مؤتمر كليرمونت

يا شعب الفرنجة إشعب الله المحبوب المختار إلقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعان أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين ، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق ، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم ، وقتلوا بعضهم الأخر بعد ان عنبوهم أشنع تعذيب ، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم ، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان فانتز عوا منها أقاليم ، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان فانتز عوا منها أقاليم شهرين كاملين .

على من تقع تبعة الإنتقام لهذه المظالم ، واستعادة تلك الأصقاع ، إذا لم تقع عليكم أنتم - أنتم يامن حياكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم ؟

الا فليكن من اعمال اسلافكم ما يقوى قلوبكم ، أمجاد شارلمان وعظمته ، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم ـ فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا .

الضريح الذى تمتلكه الآن أمم نجسة ، وغيره من الأماكن المقدسة التى لوثت ودنست ـ لا تدعوا شيئا يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم ، ذلك بأن هذه الأرض التى تسكنونها الآن والتى تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقصم الجبال ، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين ، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام ، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا ، ويلتهم بعضكم بعضا ، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية .

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد ، وأقضوا على ما بينكم من نزاع ، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس ، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم . إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها ، هي فردوس المباهج إن المدينة العظيمة القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها ، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجدا لا يفني في ملكوت السماوات

(قصة الحضارة لول بيورانت ١٥ / ١٥- ١٦) (الترجمة العربية بقلم محمد بدران)



المراجع

- التحفة الملوكية في الدولة التركيبة (تاريخ دولة المماليك البحريبة في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هـ) تاليف بيبرس المنصوري ، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان . الدار المصرية اللبنانيبة ، القاهرة ١٩٨٧م .
- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ) تأليف بيبرس المنصوري ، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان . الدار المصرية اللبنائية ، القاهرة ١٩٩٣م .
- تاريخ الحملات الصليبية ، المجلد الثالث ، تأليف السير ستيفن رانسيمان ، ترجمة نور الدين خليل، الإسكندرية ، ١٩٩٨م .
 - تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة 971م.
 - تاريخ ابن الفرات ، تأليف ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز
 الديس ، بيروت ، ١٩٣٩م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تأليف بدر الدين العيني تحقيق محمد محمد أمين الهيئة المعامة للكتاب ، القاهرة ، ٩٨٨ ام.
 - العصر المماليكي في مصر والشام ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
 - ﴾ السلطان المنصور قلاوون ، تأليف حمزة إسماعيل الحداد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٨م.
- قاموس الأديان السماوية الثلاثة ، اليهودية المسيحية الإسلام ، انجليز ي عربي ، جمع : نور الدين خليل ، مراجعة محمود آدم
- ج المماليك المفترى عليهم (٤) المنصور قلاوون ، بناء الحضارة ، نورالدين خليل .

- 🛖 السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقى الدين المقريزي الجزء الثاني ــ بيروت، ١٩٩٧م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي .
- . (Al-Ahram Weekly On-line) (24 30 September 1998 Issue No.396)
- English / Arabic Dictionary of the Three Heavenly Religions Judaism-Christianity-Islam By: Noureldin Khalil Revised by: Mahmoud Adam
- ♣The Official Website of Representative David Duke, PhD



	المحتويات
صفحة	الغصال
	تصديسر
	مقدمة
. 43	الفصد الأول : عما قبل الأشرف خليل
	القصل الثاني : السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون
4	الفصل الثالث: فتح عكسا
. ٧٩	الفصل الرابع: اغتيال الأشرف خليل
.99	القصل الخامس : عكا بعد الأشرف خليــل
110	القصل السادس: الإرهست
117	منظمة إيرجون زفانى الإرهابية
111 :	دافید بن جوریون
1 4 4	اسحق شامير
140	مناحم بيجين
181.	أوييل شمارون
277	المرفقــــات:
184 -	المراجـــع:



نورالدين خليل

المؤلف

- مترجم بالامم المتحدة
- **عضواتحاد كتاب مصر**
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
 - له تراجم ومؤلفات متعدده

